جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

" أساليب الحِجاج النحويَّة في القرآن الكريم
" سورة الواقعة أنموذجاً "

إعداد

د/ أسماء حسين علي أبو يوسف
قسم اللغويات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية،
جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

.

أساليب الحِجاج النحويَّة في القرآن الكريم " سورة الواقعة أنموذجًا "

أسماء حسين علي أبو يوسف

قسم اللغويات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: Asmaa.Hussein20@azhar.edu.eg

الملخص:

استخدمَ القرآنُ الكريمُ الحجاجَ بأساليبِه وطرقِه المختلفةِ خاصةً في القضايا التي تحتاجُ إلى إقناعِ الخصوم، وإقامةِ الحجةِ والدليلِ عليهم، وقد كانت الأساليبُ النحويةُ من أساليبِ الحجاجِ التي استخدمها القرآنُ الكريمُ، فقد ورد في القرآنِ الكريمِ أساليبٌ نحويَّةٌ تحملُ في مضمونِها طاقةً حجاجيةً، وقد تنوعت أساليبُ الحجاج النحوية في سورة الواقعة، وكان منها أسلوب الشرط، وأسلوب الحذف، وأسلوب التوكيد، وأسلوب النفي إلى غير ذلك من الأساليب النحوية الحجاجية التي حوتها السورة الكريمة، وقد كان تنوع هذه الأساليب تبعًا لحالِ المخاطبين وللسياقِ؛ فنجدُ أنَّ أسلوبَ التوكيدِ قد جاء في المواضع التي كان فيها إنكار واستبعاد، بينما جاء أسلوبُ الشرط في المواضع التي تحتاجُ إلى إعمال الذهن، وإقامةِ الحُجةِ على الخَصمِ، وهذا يؤكد لنا أنَّ القرآن الكريم قد استخدم مع كل قضية الأسلوب الحجاجي النحوي الذي يناسبها، وقد اتبعتُ في هذا البحث المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ، وكانت دراستي للأساليب الحجاجيةِ النحويةِ في سورةِ الواقعة على النحو التالي: أولا: دراسة الأسلوب الحجاجي النحوي الوارد في الآيات القرآنية دراسة نحوية، ثانيا: استخراج العلةِ أو الوظيفةِ الحجاجيةِ من وراء التعبير بهذا الأسلوب النحوي دون غيرِه، ثالثا: حاولتُ – قدر الإمكان– توضيحَ الرابطِ الحجاجي الذي يتكاتفُ مع كلِّ أسلوبٍ نحوي حجاجي في تحقيقِ الغرضِ المرادِ إيصالُه من الآيات، ثم قمتُ بتوضيح العلاقاتِ بين الروابطِ والأساليبِ الحجاجيةِ.

الكلمات المفتاحية: الحِجاج، الأساليب النحوية، الرابط الحجاجي، القرآن الكريم، سورة الواقعة.

Al-Hajjaj's grammatical methods in the Holy Qur'an "Surat Al-Waqi'ah as an example"

Asmaa Hussein Ali Abu Youssef
Department of Linguistics, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Alexandria ،
Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: Asmaa.Hussein20@azhar.edu.eg

Abstract:
The Holy Qur'an used al-Hajjaj in its various methods and methods, especially in cases that needed to convince opponents and establish argument and evidence against them. Grammatical methods were among the methods used by al-Hajjaj in the Holy Qur'an. Grammatical methods were mentioned in the Holy Qur'an that carry argumentative energy in their content, Al-Hajjaj's grammatical methods varied in Surah Al-Waqi'ah, including the conditional method, the deletion method, the affirmation method, the negation method, and other argumentative grammatical methods contained in the noble Surah. The diversity of these methods was according to the situation of the addressees and the context. We find that style The emphasis came in places where there was denial and exclusion, while the onditional method came in places that needed to exercise the mind and establish an argument against the opponent. This confirms to us that the Holy Qur'an has used with every issue the grammatical argumentative method that suits it. In this research, I followed the descriptive analytical approach, and my study of the grammatical argumentative styles in Surat Al-Waqi'ah was as follows: First: A grammatical study of the grammatical argumentative style contained in the Qur'anic verses. Second: Extracting the reason or argumentative function behind expressing this grammatical style rather than any other. Third: I tried - as much as possible - to clarify the argumentative link that works together with each grammatical argumentative style in achieving the purpose intended to be conveyed from the verses. Then I clarified the relationships between the links and the argumentative styles.

Keywords: Al-Hajjaj, Grammatical methods, Al-Hajjaj link, The Holy Qur'an, Surah Al-Waqi'ah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين وأصلي وأسلمُ على خيرِ البشرِ أجمعين وعلى آلِه وصحبِه الطيبين.

وبعدُ

فهذا البحث بعنوان: أساليب الحجاج النحوية في القرآن الكريم "سورة الواقعة أنموذجًا"

اللغةُ وسيلةُ التواصلِ بين البشرِ، وكلٌّ منَّا عندما يستعملُ اللغةَ إنَّما يستعملُها لإيصالِ شيءٍ ما للمخاطبِ بقصدِ إقناعِه أو التأثيرِ فيه، وتحملُ اللغةُ بصفةٍ ذاتيةٍ وجوهريةٍ وظيفةً حجاجيةً، وتعدُّ الروابطُ والأساليبُ النحويةُ من أهمِ العناصرِ التي تتكونُ منها اللغةُ؛ فهي مجتمعةٌ تفيدُ في إيصالِ ما يريده المتكلمُ إلى المُخَاطَبِ.

ويُعدُّ الحِجاجُ من أرفعِ العلوم قدرًا، وأعظمِها شأنًا؛ لأنَّه السبيلُ إلى الإقناعِ والتأثيرِ، وإقامةِ الحجةِ، وتمييزِ الحقِ من الباطلِ، وهو من بينِ أهمِ النظريات التداولية التي تهتمُ بمراعاةِ حالِ المتكلمِ والمخاطبِ والسياقِ.

ويمتُ الحجاجُ بصلةٍ لسائرِ العلومِ، ولكنَّ كلًّا منها يتناولُه بما يتناسبُ مع طبيعته؛ فنظرةُ اللغويِّ تختلفُ عن الشرعيِّ عن الفلسفيِّ.

وللنحوِ العربيِّ طبيعةٌ حجاجيةٌ؛ وقد وُظِّفت العديدُ من الأساليبِ النَحْويَّةِ بطريقةٍ حجاجيَّةٍ تداوليَّةٍ تضعُ بعين الاعتبار العناصرَ الداخليةَ للنصِ التي تتمثلُ في الجانب التركيبي، والعناصرَ الخارجيةَ التي تتمثلُ في السياقِ والمقامِ وحالِ المتكلمِ والمخاطبِ، وكيف يتمُ توظيفُ كلِّ هذه العناصرِ من أجلِ إقناعِ الآخرين بقضيةٍ ما.

والحجاجُ في القرآنِ الكريمِ ناشئٌ عن طريقةٍ له في القولِ مخصوصةً به، والحجاجُ في القرآن الكريم مُجَسَّدٌ في أسلوبه الذي له كان من التفرد والتميز

والخصوصية والإعجاز ما ليس لغيره، وقد استخدمَ القرآنُ الكريمُ الحجاجَ بأساليبِه وطرقِه المختلفةِ خاصةً في القضايا التي تحتاجُ إلى إقناعِ الخصوم، ودحض دعواهم ، وإقامةِ الحجةِ والدليلِ عليهم، وقد كانت الأساليبُ النحويةُ من أساليبِ الحجاجِ التي استخدمها القرآنُ الكريمُ، فقد ورد في القرآنِ الكريمِ أساليبٌ نحويَّةٌ تحملُ في مضمونِها طاقةً حجاجيةً.

وسببُ اختياري لهذا الموضوع يرجع إلى: أنَّنِي لم أجد ـ على حسب ما تهيأ لي من البحث والاطلاع ـ مَنْ تناولَ أساليبَ الحجاج النَحويَّة في القرآن الكريم، فأحببتُ أنْ أكونَ أولَ مَنْ يدلو بدلوه في هذا المجال؛ وقد اخترتُ سورةَ الواقعةِ لتكونَ مجالًا للدراسةِ؛ لأنَّها قد تناولت قضايا غيبية ينكرها المشركون ومَنْ على شاكلتِهم، وقد اشتملتْ على كمٍّ هائلٍ من الأساليب الحجاجية النحوية من أجل إثباتِ صدقِ هذه القضايا، وأنَّها كائنةٌ لا محالة.

وقد اخترتُ دراسة هذا الموضوع أيضًا لكي أثبتَ من خلاله أنَّ نظريةَ الحجاجِ في أصلها عربيةٌ خالصة؛ وذلك من خلال دراسة أساليب الحِجاج النحوية في سورةٍ من سور القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب، وبما تحتويه من ظواهر لغوية مختلفة.

وقد اتبعتُ في هذا البحث المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ.

وأمَّا عن الدراسات السابقة ذات الصلة بهذا الموضوع:

فلم أجد ـ فيما تهيأ لي من البحث والاستقصاء ـ مَنْ تناول أساليب الحِجاج النحوية في القرآن الكريم، ولكني وجدتُ دراسات تحدثت عن الحجاج في القرآن الكريم، ومنها:

ـ مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، د. لمهابة محفوظ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الحادي والثمانون، الجزء الثالث لسنة ٢٠٠٦م.

ـ الحِجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، للدكتور/ عبد الله صولة، دار الفارابي بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م.

ـ تجليات الحِجاج في القرآن الكريم "سورة يوسف أنموذجًا "، حياة دحمان، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور/ عز الدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة لخضر ـ باتنة، سنة:٢٠١٢/٢٠١٣م.

ـ الحِجاج في سورة الواقعة، أ. روادي إبراهيم، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، العدد الثالث، سبتمبر ٢٠١٣م.

وهذه الدراسة بعيدة الصلة عن موضوع البحث الخاص بي؛ فقد تناول الباحث هذا الموضوع باقتضاب شديد كما أشار في مقدمة بحثه، ولم يتناول أساليب الحِجاج النحوية، وإنَّما أشار إلى ما ورد في السورة من أساليب لغوية بصفة عامة، وقد تحدث أيضًا عن الأدلة والحُجج العقلية الواردة في السورة، ولم تتجاوز هذه الدراسة عشر صفحات، وكأنها بمثابة تفسير للسورة الكريمة.

ـ الحِجاج في القرآن الكريم "سورة القصص أنموذجًا"، عبد الحميد عباس، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور/ صالح غريبي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة التبسي(الجزائر)، سنة:٢٠١٩/٢٠٢٠م.

ـ الحِجاج في الخطاب القرآني الموجه لأهل الكتاب آيات من سورة آل عمران "أنموذجًا"، مجلة ريحان للنشر العلمي، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط(الجزائر)، العدد الثالث عشر لسنة:٢٠٢١م.

وقد جاءت خطةُ البحثِ ـ بعد مقدمته ـ على النحو الآتي:

ـ المبحث الأول: الحِجاج عند العرب، ويشمل:

أولًا: تعريف الحِجاجِ.

ثانيًا: نشأة نظرية الحِجاج عند العرب قديمًا:

ـ المبحث الثاني: أساليب الحجاج النحوية في سورة الواقعة، وقد قسَّمتُه إلى ستة مطالب:

المطلب الأول: الحجاج باستخدام أسلوب الشرط.

المطلب الثاني: الحِجاج باستخدام أسلوب الحذف.

المطلب الثالث: الحِجاج باستخدام أسلوب التوكيد.

المطلب الرابع: الحجاج باستخدام أسلوب النفي.

المطلب الخامس: الحِجاج باستخدام أسلوب النعت.

المطلب السادس: الحِجاج باستخدام الاستفهام بالهمزة.

ـ الخاتمةُ: وقد اشتملتْ على أهمِ النتائجِ التي توصلتُ إليها من خلالِ البحثِ، وأهم التوصيات.

ـ ثبت المصادر والمراجع.

ـ فهرس الموضوعات.

وكانت دراستي للأساليب الحجاجيةِ النحويةِ في سورةِ الواقعة على النحو التالي:

أولا: دراسة الأسلوب الحجاجي النحوي الوارد في الآيات القرآنية دراسة نحوية.

ثانيا: استخراج العلةِ أو الوظيفةِ الحجاجيةِ من وراء التعبير بهذا الأسلوب النحوي دون غيرِه.

ثالثا: حاولتُ ـ قدر الإمكان ـ توضيحَ الرابطِ الحجاجي الذي يتكاتفُ مع كلِّ أسلوبٍ نحوي حجاجي في تحقيقِ الغرضِ المرادِ إيصالُه من الآيات، ثم قمتُ بتوضيح العلاقاتِ بين الروابطِ والأساليبِ الحجاجيةِ.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول: الحجاج عند العرب.

أولًا: تعريفُ الحجاجِ:

الحِجاج في اللغة:

الحِجاج مأخوذ من الفعل حاججتُه أُحَاجُّه حِجَاجًا ومُحاجَّةً حتى حججتُه أَيّ: غلبتُه بالحجج التي أدليتُ بها، وتلك الغلبة تكون عند الخصومة، والجمع: حُجُجٌ، والحِجاج المصدر وقد جُمِعَ باعتبار أنواعه [١].

وقيل: هو بمعنى المنازعة والمخاصمة والجِدال، ومنه قولهم: حاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجاجًا أي: نازَعه الحُجةَ [٢]، وقولهم: حَجَجْتُهُ أي: خَاصَمْتُهُ [٣]، ومنه قولهم: هو رجلٌ مِحْجاجٌ، أي جَدِلٌ، والتحاجُّ: التخاصُم [٤]، ومنه قوله ـ تعالى ـ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾[٥] فـ (حاجَّه) بمعنى خاصمه وجادله قومُه في دين[٦]، وقولهم في المثل:"لَجَّ فَحَجَّ " أي نازَعَ خَصْمَه فحمله اللجاج على أنْ غلبه بالحجة [٧].

وعلى هذا فالحِجاج في اللغة يعني: المنازعة والجِدال والغلبة والظفر بالحُجج.

---

١ . ينظر: العين:٣/٩،١٠، تهذيب اللغة: ٣/٢٥١، الصِحاح:١/ ٣٠٤، مقاييس اللغة:٢/٣٠.

٢ . ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:٢/٤٨٢.

٣ . ينظر: ديوان الأدب: ٣/١١٨.

٤ . ينظر: الصِحاح: ١/ ٣٠٤.

٥ . سورة الأنعام من الآية: ٨٠.

٦ . ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٥٧٢، بحر العلوم: ١/ ٤٦٣، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢/١٤٠، البحر المحيط في التفسير: ٤/٥٦٩

٧ . ينظر: مجمع الأمثال: ٢/١٩٧.

وأمَّا عن الحُجة فقيل: إنَّها الوجه الذي يكون به الظفرُ عند الخصومة [١]؛ وإنَّما سميت حُجة لأنَّها تُحجُّ أي: تُقصد؛ لأنَّ القصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق هي: المقصد والمسلك [٢].وقيل: الحُجة هي: البرهان والدليل [٣].

وقد ذكر الجرجاني في كتابه(التعريفات)أنَّ الحُجة هي ما دل به على صحة الدعوى [٤].

وعلى هذ فالحِجاج والحُجة متلازمان؛ إذ الحِجاج في الأصل منازعة ومخاصمة وجِدال تستند إلى حُجج (براهين وأدلة) يستدلُ بها كلُّ فريقٍ على صحة دعواه؛ ليحصل الظفر والغلبة عند الخصومة.

الحِجاج في الاصطلاح:

من العلماء العرب القدامى والمحدثين مَنْ عرَّف الحِجاج:

فنجد من القدماء أبا حيان يُعرِّف الحِجاج بقوله:" المحاجَّة مفاعلة من اثنين مختلفين في حكمين يُدْلي كلٌّ منهما بحُجته على صحة دعواه " [٥].

وممَّا لاشكَّ فيه أنَّ تعريف المحاجَّة هو تعريف للحجاج؛ لأنَّ كليهما مصدرٌ للفعل(حاجّ).

وعلى تعريف أبي حيان فالمعنى الاصطلاحي للحِجاج ليس ببعيد عن المعنى اللغوي.

---

١ . ينظر: العين :٣/١٠.

٢ . ينظر: تهذيب اللغة: ٣/٢٥١.

٣ . ينظر: الصحاح: ١/٣٠٤، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١/١٢١، الكليات:٤٠٦، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/٤٦٤.

٤ . ينظر: التعريفات: ٨٢.

٥ . ينظر: البحر المحيط: ٤/٥٦٩.

ولكن أبا حيان لم يشر في تعريفه إلى الأثر الذي يحدثه الحِجاج في نفس المتلقي، وهذا الأثر مقصود من المتكلم.

ومن العلماء العرب المحدثين الذين عرَّفوا الحجاج الدكتور/عبد الله العزاوي الذي عرَّف الحجاج بقوله: " هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحُجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها "[١].

وعرَّفه الدكتور طه عبد الرحمن بقوله: " كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[٢].

ويرى الدكتور طه عبد الرحمن أنَّ الحِجاج في الأصل هو الخطاب، ولا خطابَ بغير حجاج، ولا مُخاطِب من غير أنْ تكون له وظيفة (المُدَّعِي)، وهو المُستدِل، ولا مُخاطَب من غير أنْ تكون له وظيفة(المُعترِض)، وهو المُستدَل له[٣].

وعرَّفه الأستاذ محمد يطاوي بقوله: " تقديم الحُجج والدلائل والبراهين والمقدمات التي تدفع دعوى الخصم وتسكته إلزامًا؛ قصد إثبات الدعوى الخاصة، ونفي الدعوى المعارِضة، في قضية يختلف فيها المحاجج وخصمه"[٤].

وهو بهذا قد بني المعنى الاصطلاحي للحجاج على معناه اللغوي؛ إذ جعل مفهوم الحِجاج عند العرب ينبي على العلاقة بين معاني (القصد والجدل والغلبة والظفر والدفع وصحة الدعوى وإسكات الخصم والزامه) [٥].

---

١ . اللغة والحجاج: ١٦.

٢ . اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٢٦.

٣ . ينظر: السابق: ٢٢٦.

٤ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتنظير: ١٤٣.

٥ . ينظر: السابق: ١٤٣.

ويرى الدكتور/حافظ إسماعيلي علوي أنَّه على الرغم من الاختلافات التي تحملها التعريفات التي أُعْطِيت للحجاج، فإنَّها تكاد تتفق على أنَّ الحجاجَ هو بذلُ الجَهد لغاية الإقناع، وإنَّه طائفةٌ من تقنيات الخطاب التي تَقصد إلى استمالة المتلقِين إلى القضايا التي تُعرض عليهم، أو إلى زيادة درجة الاستمالة [١].

وقد عرَّف الدكتور/ عبد الله صولة الحجاج بقوله:" الحِجاج بنية دلالية تستعمل لأغراض بلاغية تداولية اعتمادًا على أبنية نحوية معينة"[٢].

وهذا التعريف يشير إلى أنَّ الأساليبَ النحويَّةَ هي الأساسُ الذي ينبني عليه الأغراض البلاغية المختلفة التي يريدها المتكلمُ.

كما ذكر الدكتور/ عبد الله صولة أنَّ كلمة الحِجاج بحكم صيغتها الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج، وعلى مقابلة الحُجة بالحُجة، تؤدي مفهومًا مهمًا تقوم عليه النظريات الحديثة وهو مفهوم المناقشة والحوار [٣].

وبعد ذكر المعني الاصطلاحي للحجاج عند العلماء العرب المحدثين أودُّ الإشارة إلى أنَّ الدكتور/ عبد الله صولة كان من أبرز العلماء المحدثين الذين تحدثوا عن الحجاج، وخاصة الحجاج في (القرآن الكريم)، وأفرد له مؤلفًا بعنوان (الحِجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية).

وقد ذكر د. صولة أنَّ القرآن الكريم توافر فيه من المعطيات ما جعله خطابًا حجاجيًّا، وما جعل الحِجاج يصيب كثيرًا من العناصر اللغوية فيه مثل الكلمات والتراكيب والصور، وهي تتكرر فيه تكرارًا جعل منها خصائص أسلوبه

١ . ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة): ١/٤.

٢ . ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات:٧.

٣ . ينظر: الحِجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية :٩.

المميزة، وهذه المعطيات هي التي هيَّأت القرآنَ لأنَّ يكون خطابًا حجاجيًّا يقتضي الإقناع والتأثير [١].

وأشار أيضًا إلى أنَّ القرآن فضلًا عن كونه خطابًا موجهًا إلى متلقٍ فعلي أو محتمل، فهو مسرحٌ عليه تتحاور الذوات، وتتجادل، ويحاجّ بعضُها بعضًا [٢].

كما أشار إلى أنَّ القرآن الكريم يُقدِّم نفسه على أنَّه (تغيير لوضع)، أو(حل لمعضلة)، أو(استجابة لسؤال أمة)، وكلها وجوه ذات علاقة بالحِجاج [٣].

ويقصد د. صولة بالخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم: ظواهره اللغوية وقد تحوّلت بحكم تردُّدها وتكرارها وعودتها فيه إلى أسلوب في القول يميّزه، وللقرآن خصائص أسلوبية في مستوي المعجم ، فهو له معجمه القولي الخاص به، وداخل هذا المعجم كلمات بعينها تتكرر بنسب متفاوتة، وهي وإنْ اختلفت معانيها إنَّما تُردُّ إلى خصائص حجاجية توحد بينها، وللقرآن خصائصه الأسلوبية كذلك في مستوى التركيب، ففيه توجد تراكيب بعينها تعود، ولهذه التراكيب ـ مهما اختلفت ـ طاقة حجاجية تسمها بميسم واحد، وللقرآن خصائصه الأسلوبية على صعيد الصورة ، ففيه صور فنية تتكرر هي نفسها أو قريبًا منها، ولكنها حتى لو اختلفت موادها أو طرائق بنائها فإنَّها ترد إلى وظيفة واحدة هي الوظيفة الحجاجية[٤].

١ . ينظر: السابق: ٤٠، ٤١ بتصرف.

٢ . ينظر: الحجاج في القرآن: ٤٢.

٣ . ينظر: السابق: ٤٤.

٤ . ينظر: الحجاج في القرآن: ٤٩.

ثانيًا: نشأة نظرية الحِجاج عند العرب قديمًا:

كان الحِجاجُ حاضرًا منذ أنْ وُجِد العرب باعتباره ممارسة تواصلية، وحاجة ضرورية اقتضتها السياقات المختلفة، ولكن التنظير له لم يبدأ إلا مع التأليف اللغوي والشرعي.

وقد وُجِدت الأنشطة الحجاجية عند العرب في الجاهلية، وذلك من خلال الأسواق الأدبية كسوق عكاظ الذي كان مركزًا لصناعة البيان في الجاهلية، وتدقيق الأحكام النقدية، وحيثما كانت الأحكام كانت الاختلافات، وأنى كانت الاختلافات توسل المختلفون بما يُعينهم في الجدل النقدي، فامتزجت الممارسة النقدية بالأنشطة الحجاجية [١].

ولما جاء القرآن الكريم واصطدمت ريادة العرب في البلاغة والبيان والجدل ببلاغة أعلى وأقدر ، انخرط هؤلاء في حِجاج أوعر من المحاججة النقدية والنزعات بين القبائل؛ لأنَّهم باتوا يواجهون ربًّا يقارعهم الحُجة بالحُجة على لسان نبيه . عليه الصلاة والسلام . ، وبالرغم من عجزهم عن مضاهاة بلاغة القرآن وحسن بيانه، فإن الله ـ سبحانه ـ أقرَّ قوتهم البيانية وسلطة لسانهم الحجاجية؛ فطالما نبَّه رسوله محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى تلك القوة، وحذَّره من قدرتهم على الإقناع والدفع، قال تعالى {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ}[٢] وقال تعالى {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}[٣] أي لهم شدة في المقارعة وبراعة في المعارضة؛ لتكون بلاغتُهم إقناعًا، وليست فقط بلاغةَ إمتاعٍ[٤].

١ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب:١٤٦.

٢ . سورة الأحزاب من الآية: ١٩.

٣ . سورة الزخرف من الآية: ٥٨.

٤ . ينظر: أصول نظرية الحجاج: ١٤٧.

وقد أدت الفتوحات الإسلامية والتحولات السياسية التي عرفتها الحياة العربية إلى اختلاط العرب المسلمين بأهل الديانات المختلفة، وطفق العرب يوجهون هذه الأجناس في طعنهم في إعجاز القرآن الكريم وعربيته، ليتجند علماء كُثُرٌ للدفاع عن الإعجاز القرآني وعربية القرآن بالممارسة الحجاجيَّة، وبذلك برز الحجاج في ساحات الجدل والمناظرة، وأصبح الحجاج حاجة وضرورة لدرء الطعون في القرآن والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واللغة والثقافة العربية الإسلامية بأكملها [١].

كما انخرط في المواجهة بلاغيون ولغويون ومفسرون ونقاد شحنوا طاقاتهم المعرفيَّة واللغويَّة الحجاجيَّة للدفاع عن إعجاز القرآن وعربيته، ومن بينهم ابن قتيبة الذي أثبت في كتابه (تأويل مشكل القرآن) الإعجاز القرآني، ودافع عن عربية القرآن، وردَّ على ادعاءات الطاعنين في أسلوبه [٢].

كما شهدت البيئات العلمية الشرعية القدر الأوفر من ممارسة الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية؛ وعلى رأسها (علم أصول الفقه) الذي كان من أحوج العلوم إلى الفاعلية الحجاجيَّة، ومن علماء الأصول من يعتبر الحجاج الجدلي مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي بعد النص الشرعي، وخير مثال على هذا ما جاء به الإمام الجويني في كتابه (الكافية في الجدل) والذي يرى فيه أنَّ معرفة الجدل فرضٌ على عموم الناس، ولكن ممارسته وتطبيقه فرض على العلماء فقط.

كما تحدث في كتابه عن منزلة الحِجاج وذكر أنَّه من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا؛ لأنَّه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال[٣].

---

١ . ينظر: السابق: ١٤٧ ـ ١٤٩ بتصرف.

٢ . ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٢، أصول نظرية الحجاج: ١٤٩.

٣ . ينظر: المنهاج في ترتيب الحجاج:٨، أصول نظرية الحجاج: ١٥٠.

وكما حضر الحجاج في علم أصول الفقه فقد كان حاضرًا في البيئات العلمية المختلفة باعتباره ممارسة وفعالية اشترطتها سياقات تاريخية، أو اختلافات معرفية، ونقدية، وعرقية، ودينية، وعقدية، وقد تبيَّن أنَّ النشاط الحجاجي كان مطلبًا ضروريًا، ووسيلة للإثبات والتشريع والتقعيد اللغوي والأصولي والفقهي، بمعنى أنَّه خطاب أُعْمِل للإقناع أكثر من الإمتاع [١].

هل أفرد العلماء العرب القُدامى فن الحِجاج بمؤلفات خاصة به؟ لقد أولى علماء البلاغة قديمًا اهتمامًا كبيرًا بالحِجاج ووظَّفوه في معظم مؤلفاتهم؛ إذ قد شكَّل بنية أساسية في خطاباتهم، إلا أنَّه لم يحظَ بإفراد مؤلفات خاصة به، وإنَّما ظلَّ الكلام فيه منثورًا في الكتب، ومتفرقًا بين الأبواب والمباحث، ولعل السبب في هذا هو وعي العلماء بالاتصال الوثيق بينه وبين علم البلاغة؛ ومن ثَمَّ لم يفصلوا بينهما مطلقًا، وإنَّما اعتبروا البليغ مَنْ كان أقدر على الحِجاج، وحكموا على المُحَاجِج المتمكن بالبلاغة والفصاحة وجودة البيان [٢].

وقد التفت الجاحظ في أكثر من موضع في كُتبه إلى الحجاج والمسائل الحافَّة به [٣]، ومن ذلك قوله: " قال بعض أهل الهند، جماع البلاغة البصر بالحُجة، والمعرفة بمواضع الفرصة"[٤].

وبالرغم من أنَّ كتابه (البيان والتبيين) كتاب بلاغي بامتياز إلا أنَّه تتعانق فيه البلاغة بالحجاج تأصيلًا وتنظيرًا، وهذا الكتاب يحوي نظرية تستجمع أقطابًا ثلاثة هي: الخطاب والبلاغة والحجاج [٥].

---

١ . ينظر: أصول نظرية الحجاج: ١٥٣، ١٥٤.

٢ . ينظر: السابق: ١٦٤.

٣ . ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي، (دراسات في البلاغة الجديدة):١٢.

٤ . البيان والتبيين: ٩٢/١.

٥ . ينظر: نظرية الحجاج الجذور والاستواء: ١٤، أصول نظرية الحجاج: ١٥٥.

وقد أشار الجاحظ أيضًا إلى العلاقة الوطيدة بين البلاغة والحجاج فيما أورده عن ابن المقفع [١] حين قال:" البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون رسائل"[٢].

فقول ابن المقفع السابق الذي أورده الجاحظ يدل على أنَّ من جملة معاني البلاغة ما يكون في الاحتجاج، ويفهم من هذا أنَّ الحجاج من البلاغة، وحيثما كانت بلاغة فهناك حجاج [٣].

وما سبق يدل على أنَّ الجاحظ وابن المقفع قد عرفا نظرية الحجاج وتحدثا عنها في ثنايا كتاباتهم.

وقد وُجِد الحجاج أيضًا عند ابن وهب ولكنه وضعه تحت اسم الجدل والمجادلة [٤]، وقد وجدناه يقسم البيان إلى أربعة أقسام، ومن هذه الأقسام بيان العبارة الذي يكون فيه المنظوم والمنثور [٥]، وأثناء حديثه عن المنثور منه ذكر (الجدل والمجادلة) فقال:" وأمَّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحُجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويُستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، وفي التسول والاعتذارات، ويدخل في الشعر والنثر"[٦].

١ . ينظر: نظرية الحجاج الجذور والاستواء: ١٥.

٢ . البيان والتبيين: ١/١١٤.

٣ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٥٦.

٤ . ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١٤.

٥ . ينظر: البرهان في وجوه البيان: ٥٦.

٦ . السابق: ١٧٦

وابن وهب في قوله السابق يذكر السياقات التي يستعمل فيها الحجاج الجدلي، وكلها ميادين لابد فيها من معارضة الحُجة بالحُجة للبيان والتبيين عن صدق الدعوى، وإثباتها ونفي مناقضاتها [١].

والأمر نفسه نجده عند أبي هلال العسكري الذي خصص فصلًا من كتابه (الصناعتين)للاستشهاد والاحتجاج، والعلاقة بين التطبيق الحجاجي والأساليب البلاغية، وقد ألمح فيه إلى وجود الحجاج في الشعر؛ إذ إنَّ الشاعر بحسبه يستميل القلوب ويؤثر فيها [٢]، وهو كما يقول العسكري: " يملك ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، ويبلغ به الحاجة، وتقوم به الحُجة"[٣].

فالشعر عنده يشتمل على نوعٍ من الحجاج؛ لأنَّه مؤثر وبه يقيم الشاعر استمالته للمتلقي، بتوسله باللغة وبتقنياتها [٤].

ومع الجرجاني سيغدو النظم والأساليب البلاغية طاقة حجاجية ، وتتضح عناية الجرجاني بحجاجية الأساليب البلاغية، وتعلق الحجاج بالبلاغة من خلال ما أشار إليه في كتابه(أسرار البلاغة) أنَّ لأسلوب التمثيل طاقة إقناعية ،حيث قال : " واعلم أنَّ ممَّا اتفق العقلاء عليه أنَّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أُبَّهةً ، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها.....فإنْ كان مدحًا كان أبهى وأفخم ، وإنْ كان للحِجاج كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"[٥] .

١ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٥٧.

٢ . ينظر: نظرية الحجاج الجذور والاستواء: ١٥، أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٥٩.

٣ . الصناعتين: ٤١٦.

٤ . ينظر: نظرية الحجاج الجذور والاستواء: ١٦.

٥ . أسرار البلاغة: ٨٥ بتصرف يسير.

فمحصول نصِّ الجرجاني أنَّه يربط في وصفه للتمثيل بين بلاغتي الإمتاع والإقناع؛ إذ يؤاخي بين بُعده الجمالي التأثيري المتوجه إلى الذوق، وبين طاقته الحجاجية المستهدفة للوعي والفكر، قصدَ الإقناع والفهم والإفهام، وهذا أنطق دليل على تداخل البلاغة والحجاج عنده [١].

وقد أشار السكاكي هو الآخر إلى الحجاج؛ وتحدث عنه في باب الاستدلال من كتابه (مفتاح العلوم) [٢]، وربط علم البيان بالحجاج؛ لأنَّ فروعه بمثابة الدليل الإقناعي للآخَر [٣] حين قال:" مَنْ أتقن أصلًا واحدًا من علم البيان كأصل التشبيه أو الاستعارة أو الكناية، ووقف على كيفية مساقه؛ لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على نظم الدليل" [٤].

وقد نظر السكاكي للحجاج نظرة تستحضر العلاقات التركيبية وأدوارها الاستدلالية التي تشتغل وفق علاقات منطقية طبيعية، بل إنَّه يزيد هذه النظرة تزكيةً وتأكيدًا من خلال إظهاره للقوة الحجاجية المنطقية للتراكيب اللغوية في أنواع الجمل الاسمية والشرطية والفعلية، وكذلك المعاني المنطقية التي تقدمها الروابط اللغوية، مثل أدوات الشرط [٥].

وإذا ما جئنا إلى ابن الأثير نجده يؤكد أنَّ الحجاج نظرية متطابقة مع البلاغة في أنَّ الغاية منهما معًا هي تقوية حد الإذعان لدى المتلقي، وفي هذا يقول ابنُ الأثير حينما كان يتحدث عن الاستدراج ـ وهو من الحجاج ـ وأنَّه استخرجه من كتاب الله:" والكلام فيه وإن تضمن بلاغة، فليس الغرض ههنا ذكر

١ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٦٠.
٢ . ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١٣،١٤.
٣ . ينظر: نظرية الحجاج الجذور والاستواء: ١٦.
٤ . مفتاح العلوم: ٤٣٥.
٥ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٦٢.

بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا حقق النظر فيه عُلِم أن مدار البلاغة كلِّها عليه"[١].

وقد تحدث حازم القرطاجني أيضًا عن نظرية الحجاج، وقد وجدنا أنَّ التقفي الدقيق لمسار مقاربته للمباحث البلاغية النقدية في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) يكشف عن عناية بالغة ببلاغة الإقناع، كما أنَّ آراءه الحجاجية نافذةٌ للغاية [٢]، وقد أورد الحجاج على أنَّه من أوجه الكلام [٣]، ونجده يقول:" لما كان كلُّ كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أنْ يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أنْ يرد على جهة الحِجاج والاستدلال"[٤].

وهذا يُظهِر أنَّه يُقسِّم الكلام إلى قسمين: القسم الأول: الإخبار والسرد، **والقسم الثاني:** الكلام المقصود للحجاج والاستدلال، وهو بذلك يولي الحجاج وتطبيقاته أهمية بالغة في نظريته البلاغية، ولا يكتفي ببلاغة التخييل كما هو شائع [٥].

وإذا وصلنا للحِجاج في مجال العلوم الشرعية نجد الإمام الخطابي ـ وهو واحد من العلماء الذين برزوا في المجال الشرعي وعلم الكلام والبلاغة ـ قد اعتنى بالحجاج، وممَّا يظهر عنايته بالحجاج قوله:" وما من كلام نسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه ويقاربه، فكلٌّ بكلٍّ معارض، وبعضٌ ببعضٍ مقابل، وإنَّما يكون تقدُّمُ الواحد منهم على خصمه بقدر حظه من البيان،

١ . ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/٢٠٥، نظرية الحجاج الجذور والاستواء: ١٥.

٢ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٦٢.

٣ . ينظر: نظرية الحجاج الجذور والاستواء: ١٧.

٤ . منهاج البلغاء وسراج الأدباء:٥٥.

٥ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٦٢.

وحذقه في صنعة الجدل والكلام، وأكثر ما يظهر بعضهم على بعض إنَّما هو إلزامٌ من طريق الجدل على أصول مؤصلة "[١].

فهذا النصُّ يدل على وعي الخطابي بالحجاج الجدلي، واختلاطه بالبلاغة والبيان، وهو اختلاط تفرضه طبيعة المادة الحجاجية في أمور العقيدة، والمتوسلة بآليات البلاغة، والمتجهة إلى بيان القصد وسقوط ادعاءات الخصم [٢].

كما اشتهر ابن حزم ـ المفكر الحجاجي الذي لا يهدأ من الجدال والحِجاج والسجال ـ بالمناظرات لدرجة أنَّه يناظر كلَّ شخص يقابله، وهذه صفة نادرة تمنح لابن حزم المقام المتميز، وقد انشغل ابن حزم بالحجاج في موسوعته الموسومة بـ (الفصل في الملل والنحل والأهواء)، ولم يكن ممارسًا له على نحو يسير أو في اقتصاد شديد؛ إذ الكتاب يضم فصولًا حجاجية، ومهما يكن من قوتها أو ضعفها، فهي تظل ممارسة للاحتجاج بالأدلة العقلية [٣].

كما ألف أبو الوليد الباجي كتابًا صريحًا في الحِجاج سماه (المنهاج في ترتيب الحِجاج)، وممَّا لا شَّك فيه أنَّ العنوان يعلن أنَّه بصدد التأصيل للنظرية؛ فقوله (المنهاج)يعني أنَّه يُقدِّم لأهل الحجاج والجدل والمناظرة الطريق الصحيح الذي يسلكونه للممارسة الحجاجية، ثمَّ قوله (في ترتيب) يعني أنَّه يعرض نظرةً في تطبيقه وممارسته وتعليمه، وأصدق عبارة في العنوان تنم عن ضلوع الباجي في نظرية الحجاج هو اختياره لمصطلح الحجاج بدلًا من الجدل والمناظرة والاستدلال [٤].

---

١ . الغُنْيَةُ عن الكلام وأهله: ١٧،١٨.

٢ . ينظر: أصول نظرية الحجاج عند العرب: ١٦٥.

٣ . ينظر: التحاجج (طبيعته، مجالاته، وظائفه وضوابطه): ١٢٧،١٢٨،١٢٩بتصرف.

٤ . ينظر: أصول نظرية الحجاج: ١٦٧.

كما أبدع الجويني في كتابه (الكافية في الجدل) وأقنع في التأصيل للجدل الحجاجي في علاقته بالبحث الشرعي من طريق العقليات، ومن أبرز ما أصَّل له الحجاج الجدلي في ميدان العلوم الشرعية هو مصطلحات الحجاج التي سماها (العبارات المختصة بالجدل)، كالنظر والتدبر والفكر والاستدلال والمناظرة والحجاج، فالكتاب موقوف للتنظير في الحجاج بأمثلة شرعية وبصمة أصولية [١].

كما نجد أيضًا الإمام الزركشي يستعمل الحِجاج للدلالة على الجدل، وقد ذكر أنَّ القرآن الكريم اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة [٢].

وكذا فعل الإمام السيوطي في كتابيه (الإتقان في علوم القرآن) و(معترك الأقران في إعجاز القرآن) فقد تحدث هو الآخر عن جدل القرآن الكريم، وقصد السيوطي أيضًا بالجدل (الحِجاج)[٣] .

تعقيب:

بالنظر إلى ما سبق نجد أنَّ نظرية الحجاج في التراث العربي مترامية الأطراف، ومتشعبة المسالك في البيئات العلمية المختلفة، والمشترك المفيد بين هذه البيئات هو أنَّ الحجاجَ وسيلةٌ من وسائل التقعيد اللغوي والفقهي، ومصدر عقلي من مصادر التشريع عند البعض، ومختبر ذوقي لتقويم الإنتاجات الأدبية من شعر ونثر، ولما ألفى علماء هذه التخصصات تزايد الطلب على الحجاج في إطار الجدل والمناظرة، وتهافت الشيوخ والطلاب عليه، طفقوا في التنظير له

١ . ينظر: السابق: ١٦٨.

٢ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٤ ـ ٢٧.

٣ . ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ٦٠، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٣٤٦.

والتـأليف فـي قوانينـه، فبـدأ خـط التنظيـر للحجـاج يسـير بـالموازاة مـع خـط الممارسة [1].

وبناء على ما سبق يمكننا القول: إنَّ جذور نظرية الحِجاج قد وُجِدت في التراث البلاغي والشرعي وعلم الكلام، وكانت بمثابة الأساس الذي انطلقت منه هذه النظرية في العصر الحديث؛ وهذا يؤكد أنَّ هذه النظرية في نشأتها عربية خالصة.

١ . ينظر: أصول نظرية الحجاج: ١٧٤.

المبحث الثاني: أساليب الحِجاج النحويَّة في سورة الواقعة.

المطلب الأول: الحجاج باستخدام أسلوب الشرط:

التعريف بأسلوب الشرط:

الشرط هو: وقوع الشيء لوقوع غيره بأدوات وُضِعت لتدل على التعليق بين الجملتين، والحكم بسببية أولاهما ومسببية الثانية [١].

أدوات الشرط:

من أدوات الشرط الظروف نحو:(أين ومتى وأنى وحيثما)، والأسماء نحو:(منْ ومَا وَأي ومهما)، والحروف نحو:(إنْ وإذما)، وإنَّما اشتركت فيها الحروف والظروف والأسماء لاشتمالها جميعًا على هذا المعنى، و(إنْ) هي أُمّ حروف الشرط، وما عداها دواخل عليها لاجتماعها معها في المعنى، وكل باب أصله شيء واحد ثم تدخل عليه دواخل لاجتماعها في المعنى، وإنما كانت(إنْ) أم الباب لأنَّها حرفٌ وغيرها من أدواته اسمٌ، والأصلُ في إفادة المعاني الحروفُ، ولأنَّها أيضًا على حالٍ واحدة أبدًا لا تفارق المجازاة، وحروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهامًا، ومنها ما يفارقه فلا يكون فيه الجزاء [٢].

ومن أدوات الشرط غير الجازمة(إذا، لو، لولا، لوما، كلّما، لمَّا، أمَّا).

الحِجاج باستخدام أسلوب الشرط:

يعد أسلوب الشرط من الأساليب الحِجاجيَّة التي يعتمد عليها في الأخذ والرد والإقناع بوجهات النظر المختلفة ؛إذ يقوم أسلوب الشرط على حصر وتحديد معان معينة داخل النص للوصول بها إلى نتيجة وسبب بعينه مترتب عليها ،كما أنَّ إخراجَ الجملة في صورة أسلوب الشرط له أثرٌ عظيمٌ في لفت

---

١ ـ ينظر: المقتضب: ٤٦/٢، توضيح المقاصد: ١٢٧٤/٣.

٢ ـ ينظر: الكتاب: ٦٣/٣، المقتضب: ٤٦/٢، اللباب في علل البناء والإعراب: ٥٠/٢، شرح التسهيل: ٦٦/٤، توضيح المقاصد: ١٢٧٤/٣.

انتباه المتلقي، وجعله في لهفة وشوقٍ لسماع الجواب المترتب على فعل الشرط، ممَّا يجعل له أكبر الأثر في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، والوصول به إلى إثبات الغرض المراد من الكلام ؛ لأنَّه يقدم للمتلقي الأسباب ونتائج هذه الأسباب معًا إيجابًا وعدمًا[١].

وأرى أنَّ القيمة الحجاجية لأسلوب الشرط تعود إلى طبيعة أدوات الشرط التي تربط بين أجزاء الجملة التي تحتويها (الشرط والجزاء)، وتجعلها وحدة متماسكة، وعلى حسب مدلول أداة الشرط يتحدد المعنى داخل الجملة الشرطية أهو على سبيل الفرض والتقدير، أم على سبيل التحقق، أم على سبيل التحقق والتوكيد؟ لذا تعتبر أداة الشرط بمثابة الرابط الحجاجي بين الشرط والجزاء، وأما عن العلاقة بين الشرط والجزاء فهي تنحصر في علاقة السببية؛ إذ الجزاء نتيجة ومسبب عن الشرط، وإذا ما وجدت(الفاء) في جملة الجزاء فإنَّها تقوي هذه العلاقة وتؤكدها.

الحِجاج باستخدام(إذا) الشرطية:

من أدوات الشرط غير الجازمة (إذا) الشرطية، وتستعمل اسمًا للزمان المستقبل، وتختص بالجمل الفعلية، وإنْ وقع بعدها اسمٌ، فهو مرفوع بفعل مقدر، وتحتاج إلى جواب كباقي أدوات الشرط، وتفيد التعليق بها على أمر معلوم مقطوع بوقوعه، وقد كَثُر مجيء الماضي بعدها مرادًا به الاستقبال [٢].

١ ـ ينظر: حجاجية أدوات الشرط في نماذج شعرية مختارة من " ديوان الإمام علي" لسارة سوايحية:٣٤٧.

٢ . ينظر: الكتاب:٤/٢٣٢، المقتضب:٣/١٧٧، مغني اللبيب: ١/١٠٨، مصابيح المغاني: ١٨،١٧.

وقد ورد في سورة الواقعة الحجاج باستخدام (إذا) الشرطية في عدة مواضع منها:

ـ قوله ـ تعالى ـ {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } [١]:

وقد اختلف النحاة والمفسرون في حقيقة(إذا) في هذه الآية الكريمة على عدة أقوال[٢]، وأرجح هذه الأقوال وأظهرها أنَّ (إذا) هنا ظرفية فيها معنى الشرط [٣]، وقد اُخْتُلف في جوابها فقيل: إنَّ قوله ـ تعالى ـ﴿فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[٤] هو جواب(إذا)[٥]، وقيل: إنَّ جوابها محذوفٌ [٦].

الوظيفة الحِجاجية لـ(إذا)الشرطية في الآية الكريمة:

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن القيامة وما فيها من أهوال، ومن المؤكد لنا أنَّه لا حادثة أعظم وقوعًا من القيامة؛ لما في هذا اليوم العظيم من أمور

---

١ . سورة الواقعة آية: ١.

٢ . ينظر: المحتسب:٣٠٧/٢، التبيان في إعراب القرآن: ١٢٠٢/٢، الكشاف: ٤٥٥/٤، مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٣٨٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ١٩٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٧٧/٥، البحر المحيط: ٧٦/١٠، التذييل والتكميل: ٧/ ٣٢٢، الجنى الداني: ٣٧، مغني اللبيب:١١٠/١، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ١٩٣٥/٤، همع الهوامع: ١٧٩/٢، إرشاد العقل السليم: ١٨٨/٨، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٥٠٨/٧.

٣ . ينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس: ٢١٥/٤، مشكل إعراب القرآن: ٧١٠/٢، المحرر الوجيز:٢٣٩/٥، إرشاد العقل السليم: ١٨٨/٨، التحرير والتنوير: ٢٨١/٢٧، روح المعاني: ١٣٩/١٤، أضواء البيان: ٥٠٨/٧.

٤ . سورة الواقعة آية :٨.

٥ . ينظر: تفسير السمعاني: ٣٤١/٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٩٥/١٧، البحر المحيط: ٧٨/١٠، اللباب في علوم الكتاب: ٣٧١/١٨، التحرير والتنوير: ٢٨١/٢٧، أضواء البيان: ٥٠٨/٧.

٦ . ينظر: المحتسب: ٣٠٧/٢، الكشاف: ٤٥٥/٤، فتح القدير: ١٧٧/٥، التحرير والتنوير:١٠ /١٩٠، روح المعاني للألوسي: ١٤/ ١٢٩.

جِسامٍ تُذهِب العقل، ومن المعروف أنَّ أمرَ القيامة لم يسلم به الجميع، بل أنكره المشركون ومَنْ على شاكلتهم؛ ومن المسلم به أنَّ لبدايات الحديث تأثيرًا عظيمًا في نفس المتلقي؛ لذا نجد القرآن الكريم قد عبَّر عن قيام الساعة بأسلوب يؤكد أنَّها واقعة لا محالة مستخدمًا في ذلك أداة الشرط (إذا) التي تفيد أنَّ ما بعدها متيقنُ الحصول وواقعٌ لا محالة بغير احتمال [١]، وقد وُظِّف مدلول أداة الشرط(إذا)، واستعمالها للحدث المقطوع بحصوله توظيفًا حجاجيًّا؛ ولذا فمَنْ أراد أنْ يحتجَ على تيقن حصول أمرٍ ما ، وأنَّه واقع لا محالة فليأتِ بـ(إذا) دون غيرها من أدوات الشرط التي تكون لما يقع ،وما لا يقع [٢].

وكأن القرآن الكريم حينما بدأ الآية بـ (إذا) الشرطية يؤكد للمنكرين أنَّ قيام الساعة واقع وحاصل لا محالة؛ وقد أدى المفهوم الدلالي لـ(إذا) الشرطية الغرض المراد من الآية، وأكد بما لا يدع مجالًا للشك قيام الساعة الذي ينكره المشركون، وقد جاء الرد على منكري البعث بطريقة ضمنية، أي من خلال مضمون (إذا) الشرطية.

ويُعد افتتاح سورة الواقعة بالظرف المضمن معنى الشرط (إذا) افتتاحًا بديعًا [٣]؛ إذ فيه مراعاة لحال المخاطب كيفما كان هذا المخاطب، فإن كان من المؤمنين الموحدين، ازداد يقينًا على يقينه، وإنْ كان من المنكرين ثبت لديه أنَّ قيام الساعة حاصلٌ لا محالة.

---

١ . ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٣٢، المقتضب: ٣ / ١٧٧، إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس: ٢١٥/٤، مشكل إعراب القرآن:٧١٠/٢، شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٣٧١، شرح التسهيل: ٢ / ٢١١، مغني اللبيب:١ /١٠٨، البرهان في علوم القرآن: ١٩٩/٤، مصابيح المغاني: ٨٥.

٢ . ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٧١٠/٢.

٣ . ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨١/٢٧.

وقد قامت(إذا) الشرطية بدور الرابط الحجاجي في الآية؛ فقد ربطت بين الطرفين (الجواب والشرط) بعلاقة السببية، وقد نتج عن الرابط والعلاقة ترابُطًا حجاجيًّا قويًا.

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [١]:

(إذا) في الآية الكريمة قيل عنها: إنَّها ظرفية فيها معنى الشرط، وهي بدل اشتمال من (إذا) الأولى في قوله ـ تعالى ـ{إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ} ،وفعل الشرط هو قوله (رُجَّتُ)[٢]، وقد قيل :إنَّ جواب الشرط هو قوله ـ تعالى ـ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[٣].

وأميل إلى أنَّ جواب الشرط في الآية الكريمة محذوف، وقد دل عليه تقدم ذكره في السياق، وسيأتي الحديث عن هذا تفصيلًا في مبحث الحِجاج باستخدام أسلوب الحذف.

الوظيفة الحِجاجية لاستخدام (إذا) الشرطية في الآية الكريمة:

جاء التعبير في الآية الكريمة بـ(إذا) دون غيرها من أدوات الشرط لوظيفة حجاجيَّة ألا وهي تأكيد ما دلت عليه (إذا) الأولى في قوله تعالى ﴿إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ﴾ من أنَّ قيام الساعة واقعٌ لا محالة، ولكنها في الآية التي معنا بدأت في تفصيل الأحداث التي ستكون في هذا اليوم العظيم، وفي هذا مزيدٌ من التأكيد

١ . سورة الواقعة آية: ٤.

٢ . ينظر: النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه:٤٧٩، إعراب القرآن للأصبهاني:٤١٩، التبيان في إعراب القرآن:٢/ ١٢٠٢، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد :٦/٨٠، الجامع لأحكام القرآن :١٧/ ١٩٦، البحر المحيط :١٠/ ٧٨، فتح القدير للشوكاني:٥/ ١٧٧، التحرير والتنوير:٢٧/ ٢٨٥، الدر المصون: ١٠/١٩٣.

٣ . ينظر: البحر المحيط :١٠/ ٧٨، التحرير والتنوير:٢٧/ ٢٨٥.

لوقوع القيامة، وكأنّه ـ جلَّ شأنه ـ يقول: ستقع القيامة وسيكون فيها من الأحداث كذا وكذا.

وعلى هذا فالحِجاج في الآية الكريمة قد اعتمد على المفهوم الدلالي لـ (إذا) الشرطية، التي دلت على أنَّ ما بعدها من الشرط محقق الوقوع، وإذا كان السبب(الشرط) واقعًا لا محالة، فالمسبب (الجواب) حاصل لا محالة أيضًا بعلاقة السببية والتلازم الكائنة بين الجواب والشرط، والرابط الحجاجي في الآية الكريمة هو (إذا) التي أدت إلى ترابُط المعنى ترابُطًا قويًا.

وتكرار التعبير بـ(إذا) الشرطية على سبيل البدل فيه مراعاة لحال المخاطبين المنكرين لقيام الساعة، وكأن القرآن الكريم هنا يؤكد مرارًا وتكرارًا أمر وقوع الساعة بتفصيل الأحداث التي ستكون فيها، وبهذا يكون القرآن الكريم المعجز بألفاظه ومعانيه قد استخدم النحو الوظيفي التداولي الذي يُراعي حال المخاطب والسياق.

ـ قوله تعالى ﴿أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [١]:

من الأقوال التي ذُكِرت في (إذا) في الآية الكريمة إنَّها ظرفية مضمنة معنى الشرط، وجواب الشرط في الآية محذوف والتقدير ـ والله أعلم ـ: إذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا نبعث [٢].

وأقول: إذا كانت (إذا) في الآية السابقة شرطية فهذا يعني أنَّ ما بعدها محقق الحصول من غير احتمال، وهذا الأمر ينطبق على فعل الشرط؛ لأنَّهم مقرون أنَّ موتهم حاصلٌ وواقع بدليل المشاهدة، ولكنهم لا يقرون بجواب الشرط المحذوف وهو (نبعث)؛ إذ هم منكرون له أشد الإنكار ويُكذِّبون به ، ويقولون إنَّ

١ . سورة الواقعة آية: ١٦.

٢ . ينظر: المحتسب: ٣٠٩/٢، البحر المحيط: ٩٥/٩، الدر المصون: ٩/ ٢٩٨.

هي إلا حياتنا الدنيا نحيا ونموت، وكما قال البيضاوي: " كرروا الهمزة مبالغةً في الإنكار، وإشعارًا بأن البعث مستنكرٌ في نفسه، وفي هذه الحالة أشد استنكارًا"[١]؛ ومن ثَمَّ فالقول بأنَّ (إذا) شرطية فيه نظر؛ لما يترتب عليه من جعلهم يقرون بأنَّ البعثَ واقعٌ وحاصلٌ ، مع أنَّهم في الواقع منكرون له أشد الإنكار؛ لذا فالأولى جعل (إذا) في الآية ظرفًا محضًا كما قال البعض[٢].

الحجاج باستخدام (لو) الشرطية:

من استعمالات (لو) أنْ تكون أداة شرط غير جازمة، ولا يليها غالبًا إلا ماضٍ معنى نحو:

(لو قام زيدٌ لقمْتُ) [٣]، وهي عند سيبويه لما كان سيقع لوقوع غيره [٤]، وقيل هي: حرف امتناع

لامتناع [٥]، وقد اتفق النحاة على إفادتها للربط وتعليق الجواب على الشرط، ولكنهم اختلفوا في إفادتها الامتناع [٦]، وليس هذا البحث مجالًا لذكر هذا الخلاف، وما يعنينا الآن هو معرفة الدور الحجاجيّ الذي تقوم به(لو) الشرطية.

١ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٥/ ٧.

٢ . ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج:٤/ ٣٠٠، المحرر الوجيز: ٢٤٦/٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل:
٧/٥، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٣/ ٤٢٤، اللباب في علوم الكتاب:٢٥٠/١١.

٣ . ينظر: شرح ابن عقيل:٤٧/٤.

٤ . ينظر: الكتاب :٤/ ٢٢٤.

٥ . ينظر: اللامات: ١٢٧، ارتشاف الضرب: ١٨٩٨/٤، شرح ابن عقيل:٤٧/٤.

٦ . ينظر: الارتشاف: ١٨٩٨/٤، الجنى الداني: ٢٧٥ ـ ٢٧٨، المغني: ٢٨٤/١ـ ٢٨٩، مصابيح المغاني: ٤٠٥ ـ ٤٠٧، التصريح: ٤١٩/٢.

وقد ورد الحجاج باستخدام (لو)الشرطية في عدة مواضع منها:

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾[١].

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاه أُجَاجًا﴾ [٢].

بالنظر في الآيتين السابقتين نجد الغرض الرئيس المراد الإخبار به هو التهديد بتبديل النعم الموجودة بين أيدي هؤلاء المشركين المنكرين الذين خاطبهم الله في الآية السابقة بقوله ـ تعالى ـ{أفرأيتم ما تمنون}[٣]، فهذه النعم الموجودة لديهم الله قادر على إهلاكها ،أو تبديلها ؛إذ هو مَنْ أوجدها ؛ والمشيئة الإلهية هي التي يتوقف عليها أمر زوال النعم ،أو تبديلها، فإذا أراد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ زوالها، أو تبديلها، كان الأمر، وإلَّا فلا؛ وفي الآيات التي تحدثت عن النعم التي أنعم الله بها على هؤلاء المشركين المنكرين وهي قوله ـ تعالى ـ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[٤]، وقوله ـ تعالى ـ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[٥]، وقوله ـ تعالى ـ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[٦]، وقوله ـ تعالى ـ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾[٧]أمر متفق عليه ومُسلَّم به بين المتكلم والمخاطب وهو وجود هذه هذه النعم، وهناك أمر آخر متنازع فيه وهو أمر البعث؛ ومن ثَمَّ كان من

١ . سورة الواقعة من الآية: ٦٥.

٢ . سورة الواقعة من الآية: ٧٠.

٣ . سورة الواقعة آية: ٥٨.

٤ . سورة الواقعة آية: ٥٨،٥٩.

٥ . سورة الواقعة آية: ٦٣،٦٤.

٦ . سورة الواقعة آية: ٦٨،٦٩.

٧ . سورة الواقعة آية:٧١،٧٢.

المناسب استعمال أسلوب الشرط الذي يتخذ من شيء مُسَلَّم به بين المتكلم والمخاطب أساسًا ليصل من خلاله إلى الغرض الذي يريد المتكلمُ إقناعَ المخاطبِ به ،وقد كان القرآن الكريم بحاجة إلى أداة شرط تفيد أنَّ جواب الشرط سيقع إذا وقع الشرط وإلَّا فلا؛ وقد ناسب في هذا المقام استخدام (لو) الشرطية للدلالة على هذا المعنى (لو شئنا كذا لكان كذا، وإلَّا فلا)؛ وذلك لاستعمالها كثيرًا مع فعل الإرادة والمشيئة ؛وقد وُظِفت(لو) توظيفًا حجاجيًّا لتدل على أنَّ مَنْ أنعم عليكم بهذه النعم التي تُقرُّون بأنَّه هو المُوجِد لها، قادرٌ أيضًا على البعث بعد الموت، وقد أدت(لو) الغرض الظاهر المراد من الآيات ببراعة، كما أنَّها في ذات الوقت أدت معنى غير ظاهر من دلالة الألفاظ، وإنَّما جاء من وراء اللفظ، وهذا المعنى هو التأكيد لهؤلاء المنكرين للبعث أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو القادر القوي المتحكم في الكون بأكمله، ومن كان شأنه هكذا فهو القادر على كل شيء بما في ذلك البعث بعد الموت.

وبهذا تكون (لو) قد أدت المعنى المراد ووصلت إلى النتيجة المطلوبة وهي: إقناع هؤلاء المنكرين للبعث أنَّ القادر على إنبات الزرع من الجماد(البذر)، وإنزال الماء (وهذا الأمر هو المسلم به من جانب هؤلاء المنكرين)، قادر أيضًا على البعث بعد الموت (وهذا الأمر هو المتنازع فيه من جانب هؤلاء المنكرين). وهنا أود الإشارة إلى أنَّ السورة الكريمة تتحدث عن أمر وقوع الساعة وما فيها من أحداث جِسام؛ لذا فمعظم الآيات وإنْ كان لها غرض ظاهري، إلَّا أنَّها تتضمن بأسلوب غير مباشر إثبات قيام الساعة، وبعث الناس للجزاء.

الحجاج باستخدام (إنْ) الشرطية :

تستعمل (إنْ) الشرطية لمجرد تعليق حصول الجواب وتحققه على حصول الشرط وتحققه [١]، وعن معناها يقول سيبويه:" هي أبدًا مبهمة كغيرها من حروف الجزاء"[٢].

ويقول المبرد:" مخرجها الظنّ والتوقع فيما يخبر به" [٣]، أيّ: أنَّها تستعمل تستعمل في المشكوك فيه، أو المعلوم المبهم زمانه، ولا تستلزم تحتم وقوع الشرط ولا إمكانه [٤].

وقال الأنباري: " وقد تستعمل العرب(إنْ) الشرطية وإن لم يكن هناك شكٌّ، ومنه قولهم: "إنْ كنتَ إنسانًا فأنت تفعل كذا، وإن كنت ابني فَأَطِعْنِي" وإن كان لا يشكُّ في أنَّه إنسانٌ وأنَّه ابنه، ومعناه: أن مَنْ كان إنسانًا أو ابنًا فهذا حكمه "[٥].

وبناء على ما سبق ذكره عن حقيقة (إنْ) الشرطية أقول: ليس بالضرورة أنْ تستعمل (إنْ)للمشكوك في وقوعه؛ إذ هي كغيرها من أدوات الشرط ـ ما عدا (إذا)الشرطية ـ فما بعدها يتردد بين الوقوع وغيره، وليس بالضرورة أنْ نحصرها في المشكوك فيه؛ لأنَّها وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع واستعملت

١ . ينظر: التصريح: ٣٩٩/٢.

٢ . الكتاب: ٦٠/٣.

٣ . المقتضب: ٥٦/٢.

٤ . ينظر: معاني الحروف لأبي الحسن الرماني: ٤٩، أمالي ابن الشجري: ٨٣/٢، شرح التسهيل:٤/ ٨١، الارتشاف: ١٨٦٦/٤، البحر المحيط :٥٠١/٦، مصابيح المغاني:١٧٠، الدر المصون: ٤١٨/٣.

٥ . الإنصاف:٢/ ٥٢٠.

للمُحقَّقِ وقوعه، كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿إِنْ ينصركم اللهُ فلا غالبَ لَكُـم﴾ [١]، وقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [٢].

وقد ورد الحِجاج باستعمال(إنْ) الشرطية في عدة آيات في سورة الواقعة منها:

ـ قوله ـ تعالى ـ﴿فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[٣]:

ومعنى الآية الكريمة: إنْ كنتم غير مجزيين مقهورين[٤]، وقيل المعنى: غير مقهورين مملوكين [٥]، وقيل:

غير مبعوثين [٦]، وقيل: غير مربوبين [٧]فارجعوا روح المحتضر إلى جسده. قال الطبري [٨]:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: إنْ كنتم غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم: كما تدين تدان، ومن قول الله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٩]".

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[١٠]:

ومعنى الآية الكريمة: إنْ كنتم صادقين في نفي البعث والجزاء فردوا روح المحتضر إلى جسده، لينتفي عنه الموت فينتفي البعث [١١]

١ ـ سورة آل عمران من الآية: ١٦٠.

٢ ـ سورة التوبة من الآية: ٢٨.

٣ ـ سورة الواقعة آية: ٨٦.

٤ ـ ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٣٣/٢.

٥ ـ ينظر: بحر العلوم: ٣٩٨/٣، المحرر الوجيز: ٢٥٣/٥.

٦ ـ ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢٣٠/٤.

٧ ـ ينظر: الكشاف: ٤٧٠/٤.

٨ ـ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٧٥/٢٢.

٩ ـ سورة الفاتحة آية: ٣.

١٠ ـ سورة الواقعة آية: ٨٧.

١١ ـ ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٧٥/٢٢، لطائف الإشارات: ٥٢٧/٣، فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٨٨/١٣.

والغرض من الآيتين السابقتين معًا إثبات البعث والحساب والجزاء؛ ولذا قيل: إنَّ الشرطَ الثاني مؤكِّدٌ للأول ومُبيِّنٌ له[١] .

وجواب الشرط في الآيتين محذوف دل عليه قوله ـ تعالى ـ{ترجعونها}[٢]، وتقدير الآيتين ـ والله أعلم ـ: لولا تردون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم إلى مستقرها من الأجساد إنْ كنتم غير مدينين فارجعوها، إنْ كنتم صادقين أنَّكم تمتنعون من الموت والبعث والحساب والمجازاة فارجعوها [٣].

الوظيفة الحجاجية لـ(إنْ)الشرطية في الآيتين السابقتين:

جاءت الآيتان السابقتان اللتان اشتملتا على الشرط بـ (إنْ) في سياق الاستدلال على إثبات البعث والحساب والجزاء، وقد نُظمتا نظمًا بديعًا من الإيجاز، وحملَ بعضُ القول بعضًا إيجازًا واقتصارًا [٤].

والغرض من الآيتين إثبات عجز هؤلاء المشركين المنكرين للبعث والجزاء بالحُجة الدامغة التي تبهتهم ، وتؤكد صدق ما أخبرنا به الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من البعث بعد الموت للحساب والجزاء ، وقد وُظِفت(إنْ) الشرطية وظيفة حجاجية لدلالتها على تعليق حصول الجواب على حصول الشرط وجودًا وعدمًا، وقد كان لاستخدام أسلوب الشرط أكبر الأثر في إيصال المعنى المراد إيصاله لهؤلاء وإقناعهم بما ينكرونه، من خلال استدراجهم في الحديث بطريقة عقلانية ؛ فكونهم

١ . ينظر: روح المعاني للألوسي :١٥٨/١٤.

٢ . ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٢/٥، المحرر الوجيز: ٢٥٣/٥،٢٥٤، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٢/١٧، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٢٤٣/٤، التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٤١/٢، البحر المحيط: ٩٤/١٠، التحرير والتنوير: ٣٤٤/٢٧.

٣ . ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٣٣/٢، جامع البيان: ٣٧٥/٢٢، لطائف الإشارات: ٥٢٧/٣، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ١٨٣.

٤ . ينظر: البحر المحيط: ٩٤/١٠.

غير مجزيين، أو غير مملوكين ،أو غير مربوبين يستلزم قدرتهم على إرجاع الروح للمحتضر، ولكنهم لم يتمكنوا من إرجاعها له ؛ وعلى هذا فالنتيجة (رد الروح للمحتضر) غير حاصلة؛ لكون السبب المؤدي إليها وهو (كونهم غير مدينين)غير حاصل ، ممَّا يعني أنَّهم مبعوثون مجزيون محاسبون مربوبون لا قدرة لهم، وليس لهم من الأمر شيء ، والشواهد الكثيرة حولهم تؤكد ذلك، وبذلك تكون هذه الجملة الشرطية قد تمكنت من إقناع هؤلاء المعاندين المنكرين بعجزهم ، وأثبتت في ذات الوقت قدرة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على البعث بعد الموت .

وكذا الحال في الجملة الثانية (إنْ كنتم صادقين) فقد علقت(إنْ) الشرطية على كونهم صادقين في زعمهم بنفي البعث والجزاء قدرتهم على إرجاع الروح للمحتضر الذي يعتبر نتيجة ومسببا عن صدقهم في هذا الزعم، ولكنَّ هذه النتيجة لم تحدث لكون الشرط المؤدي لحصولها غيرَ حاصلٍ؛ فهؤلاء ليس لديهم قدرة على إرجاع روح المحتضر إلى جسده لكونهم كاذبين في زعمهم بنفي البعث بعد الموت؛ و قد نجح الحجاج باستخدام (إنْ) الشرطية في إثبات البعث بعد الموت بدليل دامغ لا مفر لهم من الاعتراف به، وقد تمثل هذا الدليل في عجزهم عن ردِّ الروح للمحتضر.

قيمة الحجاج باستخدام (إنْ) الشرطية:

كان للحجاج باستخدام (إنْ) الشرطية أكبر الأثر في إثبات الغرض المراد من الآيتين السابقتين ، ولو جاء التعبير في الآيتين على صورة أخرى غير أسلوب الشرط لما أدى الغرض المراد منهما مثلما أداه أسلوب الشرط ؛إذ من المعروف أنَّ الزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، وأسلوب الشرط لكونه من الأبواب التي دخلها العدول الكمي بالزيادة أي بزيادة أداة الشرط[١]، قد

١ . ينظر: الحجاج في القرآن الكريم: ٢٤٢ بتصرف.

ساعدته هذه الزيادة على وضع هذا الأسلوب في إطار حدود وضوابط متى تحققت تتحقق النتيجة المترتبة عليه، وهذا هو ما حدث في الآيات التي استخدمت أسلوب الشرط بـ(إنْ)، فقد دار الأمر فيها بين النتيجة والسبب ممَّا مكَّنها من الوصول للغرض المراد الوصول إليه؛ لذا كان لاستخدام(إنْ) الشرطية أكبر الأثر في تمكُّن الغرض المراد إثباته في نفس السامع، وإقناع الخصم بكذب دعواه وبطلانها من خلال استخدام هذا الأسلوب.

الحجاج بـ (أمَّا) و(إنْ) الشرطيتين:

(أمَّا)الشرطية: حرف شرط وتوكيد وتفصيل لما تقدم إجماله [1]، وهي قائمة مقام قولهم: مهما يكن من شيء، ثم نابت (أمَّا) مناب أداة الشرط وفعله، وكَرُه أنْ تلي الفاء (أمَّا)؛ لذا أُخِّرت إلى الجواب، ولابُد أنْ يفصل بينهما بفاصل مفرد، أو جملة ناقصة كجملة الشرط وهو ما جاء في الآيات الكريمات ﴿فَأَمَّا إِن كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِن كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِن كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾[2].

فقد فُصِل بين(أمَّا)وجوابها بجملة الشرط، وقد ترتب على هذا توالي (أمَّا وإنْ الشرطيتين)، وكلاهما تحتاج إلى جواب، ولكن ما ذُكِر معهما جوابٌ واحدٌ؛ لذا اختلف النحاة في الأحق منهما بالجواب المذكور على عدة أقوال: القول الأول: وذهب أصحابه إلى أنَّ المذكور هو جواب(أمَّا)، وقد حُذِف جواب (إنْ) لدلالة جواب(أمَّا) عليه، وهذا هو ظاهر كلام سيبويه [3]، وإليه ذهب

١ . ينظر: شرح المقدمة المحسبة:٢٥٢/١، شرح الكافية الشافية: ١٦٤٦/٣، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:٥٢/٤.

٢ . سورة الواقعة الآيات: ٨٨،٨٩،٩٠،٩١،٩٢،٩٣.

٣ . ينظر: الكتاب: ٧٩/٣.

الفارسي [١]، وبه قال ابن بابشاذ [٢]. قال الفارسي:" جواب(أمّا)لا يحذف في حال السّعة والاختيار، وجواب (إنْ) قد يحذف في الكلام"[٣]. وقد اختار هذا القول ابن مالك وأبو حيان [٤].

وقد ذكر ابن مالك أنَّ(أمَّا) أحق بالجواب من (إنْ) لوجهين: أحدهما: أنَّ جوابها إذا انفرد لا يحذف أصلًا، وجواب غيرها إذا انفرد يحذف كثيرًا لدليل، وحذف ما عُهِد حذفه أولى من حذف ما لم يُعهَد حذفه.

والوجه الثاني: أن (أمَّا) قد التزم معها حذف فعل الشرط، وقامت هي مقامه، فلو حُذِف جوابها لكان ذلك إجحافًا، و(إنْ)ليست كذلك [٥].

وقد ذكر ناظر الجيش أنَّ أبا حيان احتج لصحة هذا القول بمجيء فعل الشرط ماضيًا، وأنَّ ما ولي (أمّا) مقدم من تأخير، وكان حقه أن يكون بعد (الفاء)، فصار اجتماع (أمَّا) و(إنْ)الشرطيتين كاجتماع الشرطين، وكاجتماع القسم المتقدم مع الشرط، فيحذف إذ ذاك جواب الشرط الثاني[٦].

القول الثاني: الجواب هو لـ (إنْ) الشرطية، وجواب (أمَّا) محذوف، وقد نُسِب هذا القول لأبي علي الفارسي [٧].

---

١ . ينظر: شرح الأبيات المشكلة الإعراب: ٦٥، المسائل الحلبيات: ٧٨، الحجة للقراء السبعة: ١٠٤/٣.

٢ . ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٢٥٢/١.

٣ . شرح الأبيات المشكلة الإعراب: ٦٥.

٤ . ينظر: شرح الكافية الشافية: ١٦٤٧/٣، البحر المحيط: ٩٥/١٠.

٥ . ينظر: شرح الكافية الشافية:١/ ١٣٠.

٦ . ينظر: تمهيد القواعد: ٤٣٩٧/٩،٤٣٩٨.

٧ . ينظر: الارتشاف :١٨٩٤/٤، الجنى الداني :٥٢٥، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣/ ٢٣٥، تمهيد القواعد: ٤٣٩٨/٩.

وأودُّ القول إنَّ الفارسي قد نصَّ صراحة في معظم كتبه على أنَّ الجواب لـ(أمَّا)، وجواب (إنْ) محذوف لدلالة جواب (أمَّا) عليه، ومن ثَمَّ أرى أنَّ في نسبة هذا القول للفارسي نظرًا.

القول الثالث: الفاء وما بعدها جواب لـ (أمَّا)، ولـ (إنْ) معًا، وقد نُسِب هذا القول للأخفش[١].

ولم ينص الأخفش على هذا القول المنسوب إليه في كتابه (معاني القرآن) عند حديثه عن هذه الآيات، ولعله نصَّ عليه في موضع آخر، ولكن لم يتسنَ لي الاطلاع عليه.

وقد نسب ابن عطية هذا القول للكوفيين [٢].

وبالعودة إلى الآيات الكريمات التي ورد فيها الحِجاج باستخدام(أمَّا) و(إنْ) الشرطيتين أقول: ورد في هذه الآيات الحديث عن الأصناف الثلاثة التي تقدم ذكرها في أول السورة ، ولكن ذكرهم في أول السورة كان على سبيل الإخبار بوجود ثلاثة أصناف من الناس يوم القيامة، ولكل منهم الجزاء الذي يستحقه، ولكن مجيء الآيات بأسلوب الإخبار الذي يحتمل من وجهة نظر هؤلاء المنكرين الصدق والكذب جعل الأمر بحاجة إلى إثبات أنَّ هذه الأصناف الثلاثة موجودة بالفعل يوم القيامة ؛ ومن ثَمَّ تدرجت السورة في إثبات البعث والحشر للحساب يوم القيامة ، وإثبات أيضًا عجز هؤلاء المنكرين عن الخلق وإنبات الزرع وإنزال المطر وغيرها، وأكدت أنَّهم مدينون كاذبون في دعواهم إنكار البعث والحساب، ومتى وُجِد البعث والحساب فلابد من وجود الجزاء؛ ممَّا يعني أنَّ وجود الأصناف الثلاثة ـ التي سبق الحديث عنها ـ مُؤكَّدٌ لا محالة؛ لذا اختتمت

١ . ينظر: التعليقة على كتاب سيبويه: ١٨٦/٢، الارتشاف :١٨٩٤/٤، الجني الداني :٥٢٥، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣/ ٢٣٥، تمهيد القواعد: ٤٣٩٨/٩.

٢ . ينظر: المحرر الوجيز: ١٣٢/١.

السورة بذكر هذه الأصناف الثلاثة مرة أخرى، ولكن هذه المرة ليس على سبيل الإخبار، ولكن على سبيل الإنشاء من خلال استخدام أداتي الشرط (أمَّا وإنْ) اللتين تعاونتا معًا في إبراز المعنى وتمكينه في النفس.

وهذ الأمر يؤكد أنَّ السورة كلَّها مترابطةٌ كوحدة واحدة من بدايتها إلى نهايتها، وكل آية فيها لها علاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها.

الوظيفة الحجاجية لاستخدام (أمَّا) و(إنْ) الشرطيتين:

وُظِّفت(أمَّا) و(إنْ) الشرطيتان في الآيات وظيفة حجاجية تمثلت في إثبات أنَّ الجزاء واقعٌ لا محالة وذلك من خلال تعليقهما حصول شيء على شيء بعلاقة النتيجة والسبب، أيّ أنَّ: مَنْ كان فعل كذا في الدنيا فجزاؤه في الآخرة كذا، وقد اُسْتُعملت (إنْ) الشرطية في هذا، ولمزيد من التأكيد وحتى لا يكون هناك أي مجال للإنكار أو الشكِّ دخلت (أمَّا) الشرطية التي تفصِّل أحوال الناس يوم القيامة، وتؤكد في ذات الوقت أنَّ جملة الشرط متى وُجِدت فجملة الجواب واقعة لا محالة ؛ وإفادة (أمَّا) الشرطية لمعنى التوكيد جعلها تعطي الكلام فضلَ توكيدٍ بصورة لا توجد في حال خلو الجملة منها؛ وممَّا يدل على هذا أنَّ نحو قولنا:(زيدٌ ذاهب) يفيد الإخبار بذهاب زيد فقط ، ولكن قولنا :(أمّا زيد فذاهب) بدخول(أمَّا) يفيد أنَّه ذاهبٌ لا محالة، وهذا المعنى لا يفيده الكلام بدون(أمَّا)؛ ولذا قيل إنَّ معنى الجملة: مهما قُدِّر مانعٌ من ذهابه، فذهابه واقع، ومن هنا كان الذهابُ واقعًا لا محالة[١].

وبدخول (أمَّا) على (إنْ) الشرطية خرجت عن معني التوقع والشك والإبهام الذي اُشْتُهِر عنها إلى معنى التوكيد والتحقق من وقوع ما بعدها؛ وبهذا نجد أنَّ الحجاج باستخدام (أمَّا) و(إنْ) الشرطيتين معًا في هذه الآيات قد أثبت أنَّ الجزاء

١ . ينظر: الكشاف: ١١٧/١، تمهيد القواعد: ٤٥٠٥/٩، التصريح: ٤٢٨/٢.

واقعٌ لا محالة، وأنَّ مَنْ كان حاله كذا فجزاؤه كذا، وهذا الأمر هو ما كان المشركون يحاولون إنكاره، وبهذا يكون أسلوب الشرط قد أدى وظيفته الحجاجية على أكمل وجه.

فإنْ قيل: ولمَ لم تستعمل أداة الشرط (إذا) التي تغني عن الأداتين معًا؟

فالجواب: أنَّ (إذا) الشرطية اشتُهِر عنها أنَّها تفيد تحقُّق حصول ما بعدها في الغالب، وليس الأمرُ كذلك في حال استعمال (أمَّا) الشرطية مع (إنْ) الشرطية؛ لأنَّ (أمَّا) قد أفادت توكيد المعنى وصار تقدير المعنى ـ والله أعلم ـ: مها كان الحاصل فمَنْ كان كذا فجزاؤه كذا؛ لذا كان لاجتماع الأداتين معًا أبلغ الأثر في أداء المعنى المراد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فاستعمال (أمَّا) مع (إنْ) وإعطاؤها الكلام فضل توكيد فيه مراعاة لحال المخاطبين المنكرين للبعث.

المطلب الثاني: الحِجاج باستخدام أسلوب الحذف:

الحذف في اصطلاح النحاة يطلق على: إسقاط شيءٍ من الكلام أو كلِّه لدليلٍ[١].

ولابد أن يكون في المذكور دليلٌ على المحذوف، وإلَّا كان ضربًا من تكليف علم الغيب في معرفته [٢].

والذي يدل على المحذوف هو السياق، والسياق يشمل:

السياق اللغوي: وهو البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي المراد تحليله، أو ما يسبق الكلمة، أو ما يليها من كلمات أخرى، أو هو ردُّ أول الكلام على آخره، وآخره على أوله، وهو ما يسمى بـ (سياق النص أو المقال) [٣].

وقد تحصل دلالة السياق اللغوي من إعراب اللفظ، وذلك كما إذا كان اللفظُ منصوبًا فيعلم أنَّه لابد له من ناصبٍ [٤].

والسياق غير اللغوي: هو الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام، وما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات متعلقة بالمقام الذي قيلت فيه، فهو كل ما يتصل بالموقف ويؤثر فيه من قريب أو بعيد، وهو النظر إلى المعنى وأنَّه لا يتم المعنى إلا بمحذوف، وهو ما يسمى بـ (سياق الموقف أو المقام أو الحال) [٥].

وقد جعل ابن جني الحذف من شجاعة العربية [٦].

---

١ . ينظر: الفروق اللغوية:٤٠، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:١ / ٦٣٢.

٢ . ينظر: المقتضب: ٢/٨١، الخصائص:٢ / ٣٦٢.

٣ . ينظر: دلالة السياق: ٨ ،٥١ بتصرف يسير.

٤ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١١١.

٥ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ /١١٢، دلالة السياق: ٥١ بتصرف يسير.

٦ . ينظر: الخصائص:٢/٣٦٢.

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أنَّه ما من اسمٍ أو فعل تجده قد حُذِف، ثم أُصيبَ به موضعه، وحُذِف في الحال التي ينبغي أنْ يُحذف فيها، إلا وتجد حذفه في هذا الموضع أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به[١].

وقد وقع الحذف في سورة الواقعة في بعض المواضع؛ لوجود دليل يدل على المحذوف في السياق اللغوي القريب، ويقود الأذهان إليه.

وقد ورد الحذف في السورة الكريمة في عدة صور منها: حذف جواب الشرط، وحذف الفاعل، وحذف المبتدأ وغير ذلك، وكان الحذف في كل موضع من هذه المواضع لعلة ووظيفة حجاجية، ولم يكن ذكر المحذوف ليؤدي نفس الوظيفة الحجاجية التي أداها الحذف، وهذا يؤكد أنَّ القرآن الكريم يستعمل في كل موضع أنسب الأساليب التي تؤدي الغرض المراد، وتحقق الإقناع والتأثير في نفس المتلقي.

واستعمال أسلوب الحذف في سورة الواقعة لم يكن ينحصر في علة حجاجية واحدة بل تنوعت هذه العلل، فتارة يكون الحذف لعلة التوكيد، وتارة يكون لإقناع المتلقي بقضية حجاجية، وتارة يكون لعلة الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل وغير ذلك.

وفيما يلي بيان بعض صور الحذف التي جاءت في سورة الواقعة:

أولًا: حذف جواب الشرط:

يجوز حذف جواب الشرط استغناءً عنه بفعل الشرط، وحذف جواب الشرط كثير في كلام العرب متى دل عليه دليل [٢].

---

١ . ينظر: دلائل الإعجاز:١٥٢/١.

٢ . ينظر: الإنصاف: ٥١٧/٢، شرح الكافية الشافية: ١٦٠٨/٣، توضيح المقاصد:١٢٩٢/٣، شرح ابن عقيل: ٤٢/٤.

وقد ورد في سورة الواقعة حذف جواب الشرط في عدة مواضع، ومن ذلك:

ـ قوله ـ تعالى ـ {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} فـ(إذا) في الآية على أرجح الأقوال وأظهرها ظرفية فيها معنى الشرط [١]، وقد اُخْتُلف في جوابها فقيل: إنَّ قوله ـ تعالى ـ {فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ} هو جواب(إذا)[٢]،وقيل: جوابها محذوف [٣].

وقد ذهب إلى هذا القول ابن جني [٤].

وقد اُخْتُلف في تقدير الجواب المحذوف فقيل: إذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخاب الكافرون، ونحو ذلك [٥]، وقيل: إذا وقعت كان كيت وكيت [٦].

وقيل تقديره: إذا وقعت كانت أمورٌ يضيق عنها نطاق الحصر [٧]، وهذا التقدير: يجعل النفس تذهب فيه كلَّ مذهب فيكون أهول [٨].

---

١ . ينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس: ٢١٥/٤، مشكل إعراب القرآن: ٧١٠/٢، المحرر الوجيز:٢٣٩/٥، إرشاد العقل السليم: ١٨٨/٨، التحرير والتنوير: ٢٨١/٢٧، روح المعاني: ١٣٩/١٤، أضواء البيان: ٥٠٨/٧.

٢ . ينظر: تفسير السمعاني: ٣٤١/٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٩٥/١٧، البحر المحيط: ٧٨/١٠، اللباب في علوم الكتاب: ٣٧١/١٨، التحرير والتنوير: ٢٨١/٢٧، أضواء البيان: ٥٠٨/٧.

٣ . ينظر: المحتسب: ٣٠٧/٢، الكشاف: ٤٥٥/٤، فتح القدير للشوكاني: ١٧٧/٥، الدر المصون: ١٠ /١٩٠، روح المعاني للألوسي: ١٤/ ١٢٩.

٤ . ينظر: المحتسب: ٣٠٧/٢.

٥ . ينظر: المرجع السابق: ٣٠٧/٢.

٦ . ينظر: الكشاف: ٤٥٥/٤، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٧٧/٥، الدر المصون :١٩٠/١٠، اللباب في علوم الكتاب: ٣٦٨/١٨، فتح القدير: ١٧٧/٥.

٧ . ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩٦/١٩.

٨ . ينظر: المرجع السابق: ١٩٦/١٩.

وأؤيد كون جواب الشرط محذوفًا، وليس الجواب قوله ـ تعالى ـ {فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ}، وأرى أنَّ الفاء في قوله (فَأَصْحابُ)لتفصيل الإجمال الوارد في قوله ـ تعالى ـ ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة﴾.

وقد جاز حذف جواب الشرط هنا لقرينة السياق؛ فسياق الحال أو الموقف يوحي بالمحذوف؛ إذ الأمر لا يخرج عن كونه يتعلق بالأحداث الجِسام التي ستقع في هذا اليوم العظيم، والجزاء الذي ينتظرُ كلَّ شخصٍ نتيجة عمله، وفي مثل هذا مدعاة لردع وزجر المنكرين، لعلهم يعودون إلى رشدهم قبل فوات الأوان، كما أنَّه يدعونا للتفكير في عاقبة ما قدَّم كلٌّ منَّا، فيكون أوقع في النفس.

الوظيفة الحجاجية لحذف جواب الشرط في قوله ـ تعالى ـ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾:

جاء جواب الشرط محذوفًا في الآية الكريمة السابقة عند البعض، والحذف هنا قد وُظِّف وظيفة حجاجية تمثلت في أنَّ الحذف هنا قد صنع من ذاته حجته الخاصة به ، وجعل من المتلقي أداة لتنفيذها من خلال جذب انتباه المتلقي بعدما يسمع فعل الشرط ولا يجد له جوابًا، ومثل هذا من شأنه أن يدفعه إلى التفكير والتمحيص ليملأ هذا الجواب المحذوف اعتمادًا على القرينة الموجودة في السياق القريب، وبذلك يكون الحذف قد استدرج المتلقي إلى أنْ يصادق المصادقة التامة على القضية المعروضة في جملة الجوار السابقة، وإنَّما جيء بجملة الجوار لتلهمه الجواب وترشده إلى طريق المصادقة على القضايا ، و(سياق الموقف أو الحال) هنا يساعد المتلقي في محاولة تصور الجواب المحذوف ، فوقوع الواقعة حدث عظيم فيه من التفخيم والتهويل ما فيه، ومن ثَمَّ فما يترتب عليه أيضًا من الأمور ستكون على نفس هذا القدر؛ وبذلك نجد الحذف قد استدرج المتلقي للتسليم بالشرط وهو وقوع الواقعة والإقرار بها (وهذا هو الغرض المراد) ، ومضى يبحث عن الجواب المحذوف، وهو يجد في الشرط ما يشعره بالجواب

المحذوف ، فإذا عاد المتلقي وقدره يكون الجواب قد كُرِّر مرتين ؛ ولهذا فحذف جواب الشرط غايته ووظيفته الحجاجية هنا هي توكيد المعنى ، ومثل هذا يمكن أنْ يُعدَّ من المفارقات إذ كيف يؤكد بواسطة الحذف؟! ولكن التوكيد يأتي من حيث إنَّ تقدير المحذوف مع وجود الدليل بمثابة التكرار بين الجواب والمحذوف.

والمتلقي بهذا لا يكون دوره مجرد التقاط الحجة وتبنِّيها، وإنَّما يتمثل دوره في تكرير جملة الجواب المحذوف اعتمادًا على الجوار القريب، وهو بذلك يؤكد بنفسه ما جاء القرآن الكريم يذكره على الابتداء والتمهيد في جملة الجوار، ومثل هذا يكون له أبلغ الأثر في إقناع المتلقي بالقضية المعروضة [١].

وللحذف هنا وظيفة حجاجيَّة أخرى تمثلت في أنَّ الحذف قد أشعر هو الآخر بمعنى التهويل والتفخيم والتعظيم الذي بدأت به السورة؛ لما فيه من الإبهام، فتجد كلَّ نفسٍ تذهب مذهبَها في توقع الجواب المحذوف مع تشوقها لمعرفة ما هو المراد، وعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانه، ويكون فيه من التفخيم والتهويل ما فيه؛ بخلاف ما إذا ظهر المحذوف في اللفظ؛ إذ يزول بذكره ما كان يختلج في الوهم من المراد ويخلص للمذكور [٢].

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾:

قيل عن (إذا) في الآية السابقة : إنَّها ظرفية فيها معنى الشرط، وهي بدل اشتمال من (إذا) الأولى في قوله تعالى{إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ}[٣]، وفعل الشرط هو

---

١ . ينظر الحجاج في القرآن:٤٠٢ـ ٤٠٤ بتصرف.

٢ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/١٠٤.

٣ . ينظر: النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه :٤٧٩، إعراب القرآن للأصبهاني:٤١٩، التبيان في إعراب القرآن:٢/ ١٢٠٢، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد:٦/٨٠، الجامع لأحكام القرآن :١٧/ ١٩٦، البحر المحيط :١٠/ ٧٨، فتح القدير :٥/ ١٧٧، التحرير والتنوير:٢٧/ ٢٨٥، الدر المصون: ١٠/١٩٣.

قوله (رُجَّت)، وقيل: إنَّ جواب الشرط هو قوله ـ تعالى ـ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[1].

وأميل إلى أنَّ جواب(إذا) محذوف، وقد دل عليه تقدم ذكره في السياق، وهو قوله ـ تعالى ـ{إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ} وكأنَّ التقدير ـ والله أعلم ـ: إذا رُجَّت الأرض رجًّا وبُسَّتِ الجبالُ بسًّا فقد وقعتِ الواقعةُ ، ويؤيد هذا قوله ـ تعالى ـ في موضع آخر ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[2]، فالمعنى ـ والله أعلم ـ : إذا حُمِلت الأرض والجبال ودكتا تقع الواقعة، ومن ناحية أخرى إذا ما تأملنا سياق سورة (الزلزلة) نجده يؤكد ما ذكرته من أنَّ الجواب محذوف تقديره:(فقد وقعت الواقعة)، وهذا كله يؤكد مبدأ أنَّ القرآن الكريم يُفسر بعضُه بعضًا .

العلة الحجاجية لحذف جواب الشرط في قوله ـ تعالى ـ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾: ذكرتُ أنَّني أؤيد أنَّ جواب الشرط في هذه الآية الكريمة محذوف، وأنَّ تقديره ـ والله أعلم ـ:(إذا رُجَّت الأرض رجًّا وبُسَّتِ الجبالُ بسًّا فقد وقعتِ الواقعةُ)، وأرى أنَّ العلة الحجاجية لحذف جواب الشرط هي تأكيد وتقرير ما جاء في الآيات السابقة من أنَّ وقوع الواقعة لا كذب فيه وأنَّه واقع لا محالة، فالمتلقي متى سمع فعل الشرط ولم يجد جوابه يدفعه هذا إلى البحث عنه في الجوار القريب الدال عليه، ليجد نفسَه تكرر:(إذا رُجَّت الأرض رجًّا وبُسَّتِ الجبالُ بسًّا وقعت الواقعة)؛ فوقوع الواقعة هي النتيجة المترتبة على كل هذه الأحداث المتلاحقة .

١ . ينظر: البحر المحيط :١٠/ ٧٨، التحرير والتنوير:٢٧/ ٢٨٥.

٢ . سورة الحاقة آية: ١٤ ،١٥.

والحذف بذلك قد استدرج المتلقي للتسليم بالجواب المحذوف وهو وقوع الواقعة والإقرار بها، والمتلقي بذلك يؤكد بنفسه ما افْتُتِحت به السورة الكريمة من أنَّ وقوع الواقعة كائن لا محالة، وهذا هو الغرض المراد من الآيات؛ ولذلك كان لحذف جواب الشرط هنا دورٌ مهم في إقناع المتلقي بالقضية المعروضة وتسليمه بها.

ثانيًا: حذف الفاعل:

اهتم النحاة بالمفعول به، ومن مظاهر عنايتهم واهتمامهم به أنَّهم قد يحذفون الفاعل ويبنون الفعل للمفعول؛ لأنَّ الغرض الأهم عندهم في هذا الحالة إنَّما هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض في إبانة مَنْ هو الفاعل [١]. وقد كَثُر في القرآن الكريم حذف الفاعل، وبناء الفعل للمفعول في المواضع التي تتحدث عن البعث والحشر وقيام الساعة وما أشبه ذلك.

وقد ورد في سورة الواقعة حذف الفاعل وإسناد الفعل للمفعول به في عدة مواضع منها:

ـ قوله ـ تعالى ـ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [٢]:

فقد جاء في الآيتين السابقتين الفعل (رُجَّ) والفعل (بُسَّ) مبنيين للمفعول، وقد كان مثل هذا الصنيع لعلة وغاية حجاجية.

العلة الحجاجية لحذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول في الآيتين السابقتين: ورد في الآيتين السابقتين حذف الفاعل بعد بناء الفعل للمفعول لعلة حجاجية تمثلت في أنَّ مدار الجدال بين القرآن وخصومه لم يكن في وجود الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وإنَّما كان في الأفعال التي ستقع يوم القيامة، فمواضيع البعث والحشر

١ ـ ينظر: المحتسب:١/٦٦.

٢ ـ سورة الواقعة: آية: ٤،٥.

والحساب وما أشبه ذلك هي مواضيع خصومة، ومدار نزاع ، ومناط خلاف، وسؤال دائم من المشركين عن حقيقتها، وإنكار المشركين ليس للفاعل لهذه الأحداث الجسام ، وإنّما هم ينكرون هذه الأحداث في حد ذاتها ؛ لأنَّهم إذا اعترفوا بوقوع هذه الأحداث الجسام فلن ينكروا أنَّ فاعلها هو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وفي الآيتين السابقتين (رج الأرض وبس الجبال) ليسا من الأمور المسلم بها منهم ؛ لأنَّهم ينكرون الساعة بكل أحداثها؛ لذا فذكر الفاعل فيهما ليس هو المطابق لحال المشركين؛ لذا كان مدار التركيز والعناية بموضوع الخصومة والخلاف ؛ لأنَّ هذا هو المطابق لحالهم .

والبناء للمعلوم في هذه الآيات من شأنه أنْ يضعف طاقة الكلام الحجاجية، وذلك على عكس البناء للمجهول الذي كان له أبلغ الأثر في استدراج المشركين للتسليم بوقوع هذه الأحداث ؛ إذ به انتقل الاهتمام والتركيز من الفاعل إلى الحدث نفسه، وبواسطته سار الكلام مساره الحجاجيّ المخصوص، ووجَّه الحوار مع الخصوم الوجهة التي ينبغي أنْ يسير فيها؛ من خلال أنَّه جعل التركيز وبؤرة الاهتمام منصبين على الأحداث التي تقع من الله ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة، كما أنَّه جعل المقتضى هو وقوع هذه الأحداث يوم القيامة ؛ لأنَّ هذا هو الذي ينكرونه، وهذا هو الذي يروم القرآن الكريم الصدع به وإبرازه منطوقًا به، وتقديمه في شكل مقتضى ضمنيًا، وأحسن ما يظهر هذا المقتضى وذلك الاهتمام والتركيز بواسطة بناء الفعل للمفعول[١] .

لذا يمكننا القول إنَّ حذف الفاعل بعد بناء الفعل للمفعول كانت وظيفته وغايته الحجاجية هي إقناع المتلقي بقضية وقوع الساعة وما فيها من أحداث، واستدراجه للتسليم بها.

١ . ينظر: الحجاج في القرآن: ٣٩٥،٣٩٦،٣٩٧ بتصرف.

ـ قوله ـ تعالى ـ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾[١]:

ورد في الآية السابقة حذف الفاعل بعد بناء الفعل للمفعول، فقد حُذِفت كلمة (معين) والمراد بها الخمر[٢]، وجاز الحذف هنا لأنَّ المحذوف قد دل عليه دليل، وهو تقدم ذكره في الآية السابقة على هذه الآية، وحذف الفاعل مع إسناد الفعل للمفعول به قد كان لعلة حجاجية تمثلت في: الإيجاز والاختصار؛ لأنَّ نفوس المؤمنين متشوقة إلى معرفة باقي أصناف النعيم التي أُعدت للسابقين [٣]، ومن ثَمَّ فالحذف هنا يتناسب مع حال المخاطبين من المؤمنين.

ثالثًا: حذف المفعول به:

من المواضع التي ورد فيها حذف المفعول به عند معظم المفسرين في سورة الواقعة قوله ـ تعالى ـ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [٤].

وقبل الحديث عن حذف المفعول به في الآية السابقة أودُّ الإشارة إلى أنَّ للمفسرين في توجيه جواب (لو) في الآية الكريمة قولين: الأول: أنَّه متروك ولم يُقصَد لـ (لو) جواب، والثاني: أنَّه محذوف ثقة بظهوره [٥].

وقد ذكر بعضُ المفسرين أنَّ المفعول به المحذوف في الآية السابقة تقديره: وأنه لقسم عظيم لو تعلمون عِظمه لعظمتموه او لعملتم بموجبه[٦]، ومنهم مَنْ جعل تقديره: لو تعلمون ذلك لانتفعْتُم به[١] .

---

١ . سورة الواقعة آية ١٩.

٢ . ينظر: بحر العلوم: ٣٩٢/٣، المحرر الوجيز: ٢٤٢/٥.

٣ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠٤/٣،١٠٥.

٤ . سورة الواقعة آية: ٧٦.

٥ . ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤٣١/١٨،٤٣٢، روح البيان: ٩/ ٣٣٦، روح المعاني: ١٤/ ١٥٢.

٦ . ينظر: جامع البيان :٣٦٢/٢٢، التفسير البسيط:٢١ / ٢٥٨، زاد المسير في علم =

وعلى القول بأنَّ المفعول به محذوفٌ، فإنَّما جاز حذفه لأنَّ السياق يدل عليه.

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ جواب (لو) ومفعول (تعلمون) مرتبطان ببعضهما البعض، فمَنْ جعل جواب (لو)محذوفًا، جعل مفعول (تعلمون) أيضًا محذوفًا، وتقديره على نحو ما ذكرتُ من قول بعض المفسرين، ومَنْ لم يجعل لـ(لو) جوابًا، جعل الفعل (تعلمون) لا مفعول له، وهذا من باب (تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم) كما هو الحال في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [٢]، وقولهم:(فلان يعطي ويمنع)، حيث لا يُقْصَدُ به مفعول [٣].

وأميل إلى القول بأنَّ جواب (لو) متروك، ولم يُقصَد لها جوابٌ، وإنَّما يُراد نفي ما دخلت عليه (لو)، فكأنه قال: وإنَّه لقسمٌ عظيم لو تعلمون [٤]، وأميل أيضًا إلى أنَّ الفعل (تعلمون) لا مفعول له، وأنَّه هنا قد نُزِّل منزلة الفعل اللازم.

وسواء أكان مفعول(تعلمون) محذوفًا، أو كان الفعل (تعلمون) لا مفعول له لتنزيله منزلة اللازم، فالأمر لا يخلو على كلا الاعتبارين من علة حجاجية قد دفعت إلى هذا الاستعمال دون غيره.

=

التفسير:٤/ ٢٢٨، مفاتيح الغيب: ٤٢٧/٢٩، تفسير القرآن العظيم: ٥٤٤/٧، معترك الأقران: ٢٨٢/١.

١ . ينظر: بحر العلوم: ٣٩٧/٣، التيسير في التفسير: ٢٦٨/١٤.

٢ . سورة النجم آية: ٤٣.

٣ . ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٧٩/٢٩، ٤٢٧.

٤ . ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ٤٣١.

أولًا: العلة الحجاجية لحذف المفعول به للفعل (تعلمون):

جاء المفعول في الآية الكريمة السابقة محذوفًا لعلة حجاجية تتمثل في أنَّ حذف المفعول به فيه استدراج للمتلقي لأنَّ يكمل بنفسه الفراغ الموجود في الآية اعتمادًا على ما لديه من قرينة تدل على المحذوف ؛ وذلك لأنَّ المتلقي بينما هو ينتظر العلم الذي أفاد شرط (لو) انتفاءه عن هؤلاء، يجد أنَّه قد حُذِف، وهذا من شأنه أنْ يبعث في النفس شوقًا يجعلها متطلعة لمعرفة المحذوف حتى يكتمل المعنى ، ومتى ما قدَّر المتلقي المحذوف اعتمادًا على ما لديه من قرينة في السياق تدل عليه ، يكون بذلك قد كرر المحذوف مرتين: الأولى في نفسه لعلمه بالمحذوف من سياق الكلام ، والأخرى أثناء تقديره للمحذوف ، وبذلك يجد المتلقي نفسه يردد (لو تعلمون عظم القسم)، ومثل هذا من شأنه أنْ يجعل هذا المعنى يرسخ ويثبت في الذهن ، وإذا به يثير في نفسه اهتمامًا وحرصًا على معرفة سبب عظم هذا القسم الذي أقسم به الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وإذا ما رجع هؤلاء المنكرون المعاندون لأنفسهم علموا أنَّ مواقع النجوم التي أقسم بها القرآن الكريم تكمن عظمتها في كونها من أقوى الأدلة والشواهد على وجود الخالق ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وعلى صدقه في كل ما أخبر به عن أحوال القيامة ، ومن ثَمَّ يكون حذف المفعول به قد لعب دورًا حجاجيًّا ساعد على تحقيق الغرض المراد من الآيات وهو: إقناع المتلقي بوقوع البعث، وبأنَّ القرآن الكريم مُنزَّلٌ من عند الله، وصادقٌ في كلِّ ما أخبر به.

ثانيًا: العلة الحجاجيَّة لتنزيل الفعل (تعلمون) منزلة الفعل اللازم:

قيل إنَّ الفعل(تعلمون) في الآية الكريمة السابقة نُزِّل منزلة اللازم، وعلى هذا القول فالفعل (تعلمون) إنَّما وُظِّف وظيفة الفعل غير المتعدي لعلة حجاجية تتمثل في أنَّ الأهم والأولى بالإخبار عنه في هذا الموضع هو الفعل لا المفعول به، فالعلم الذي اقتضت (لو)الامتناعية عدم حصوله لهم ليس المراد به علمًا بعينه، وإنَّما المراد نفي جنس العلم عنهم ، والإخبار بأنَّهم لا يعلمون شيئًا أصلًا ؛ إذ لو عملوا لكان أولى الأشياء التي ينبغي أنْ يعلموها هذه الأمور الظاهرة

الدلالة على أنَّ البعث حقٌّ ، وأنَّ القرآن الكريم صادقٌ في كلِّ ما أخبر به، ومنزَّل من رب العالمين؛ ولكنهم كما قال عنهم القرآن الكريم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[١]، وقال عنهم في موضع آخر﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٢] فلما كان هذا هو حالهم كان المناسب في هذا المقام مجيء الفعل غير متعلق بمفعول به؛ لأَنَّ تعديته تَنْقُضُ غرضَ المتكلم، وتُغيِّر المعنى، ولا تراعي حال المخاطبين .

وإذا ما أردنا المقارنة بين القول بحذف المفعول به للفعل (تعلمون)، والقول بأنَّ الفعل(تعلمون) نُزّل منزلة اللازم ولا مفعول له أيُّهما أبلغ حجاجيًّا؟ نجد أنَّ القول الثاني أبلغ في أداء المعنى ممَّا لو قُدِّر مفعولٌ محذوفٌ؛ وذلك لأنَّ نفي الفعل غيرُ متعلقٍ أبلغ من نفيه متعلقًا به؛ لأنَّ المنفي في الأول نفس الفعل، وفي الثاني متعلقه، ففي ترك التقييد بمفعول بعينه مبالغة في أداء المعنى المراد إيصاله من الآية الكريمة؛ ولهذا لم يتعد الفعلُ، وكان هذا الأسلوب هو الأحسن والأبلغ في أداء المعنى، ممَّا لو قُدِّر المفعول به [٣].

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ أبا علي الفارسي قد فسَّر الفعل (تعلمون) في الآية السابقة بقوله:" اعلموا، كما تقول: لو قمتَ أي: قُمْ "[٤].

وعلى تقدير الفارسي فـ (لو)لا جواب لها، ولكن لابد للفعل (تعلمون) من مفعول به يقع عليه الأمر بالعلم.

---

١ . سورة القرة من الآية: ١٨.

٢ . سورة الفرقان من الآية: ٤٤.

٣ ـ ينظر: دلائل الإعجاز: ١/ ١٥٤،١٥٥، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ١٥٦/٢، البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٧٨.

٤ . المسائل الحبليات: ١٤٧.

رابعًا: حذف المبتدأ:

يحذف المبتدأ جوازًا بكثرة متى دل عليه دليل [١]، كما يحذف المبتدأ وجوبًا في عدة مواضع [٢].

وقد ورد في سورة الواقعة حذف المبتدأ جوازًا في كثير من المواضع، ومنها:

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [٣]، وتقدير المبتدأ المحذوف ـ والله أعلم ـ: هي خافضة رافعة [٤]، وقيل: الواقعة يومئذ خافضة رافعة [٥]، والحذف هنا جائز لوجود دليل يدل على المحذوف، وهو تقدم ذكره في السياق.

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [٦]، وتقدير المبتدأ المحذوف ـ والله أعلم ـ: هم ثلة من الأولين [٧]، والمبتدأ معلوم من سياق الآيات السابقة.

ـ قوله ـ تعالى ـ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾[٨]، فالمبتدأ محذوف في هذه الآية الكريمة، والتقدير ـ والله أعلم ـ:

١ـ ينظر: أوضح المسالك: ١/ ٢١٤، شرح ابن عقيل:١/٢٤٤، التصريح: ١/ ٢٢١، همع الهوامع: ١/٣٩٠.

٢ ـ ينظر: شرح الكافية الشافية :١/٣٦٠ـ ٣٦٢، توضيح المقاصد والمسالك:١/ ٤٩٠، أوضح المسالك: ١/٢١٤ـ ٢١٦، شرح ابن عقيل:١/٢٥٥،٢٥٦.

٣ ـ سورة الواقعة آية: ٣.

٤ ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٧، مشكل إعراب القرآن: ٢/٧١٠، النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه: ٤٧٩.

٥ ـ ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٢١.

٦ ـ سورة الواقعة آية :١٣.

٧ ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١٠٩، إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس:٤/٢١٧، التبيان في إعراب القرآن: ٢/١٢٠٣.

٨ ـ سورة الواقعة آية: ٢٨.

هم في سدر مخضود [١].

ـ قوله ـ تعالى ـ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[٢]،وقد حُذِف المبتدأ في هذه الآية الكريمة، والتقدير ـ والله أعلم ـ : هم في سموم وحميم [٣] .

ـ قوله ـ تعالى ـ ﴿تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤]، فقد ورد المبتدأ في الآية السابقة محذوفًا، والتقدير ـ والله أعلم ـ: هو تنزيل من رب العالمين [٥].

والمبتدأ في هذه الآيات السابقة معلومٌ من سياق الكلام؛ ومن ثَمَّ فلا فائدة في ذكره مرة أخرى؛ إذ إنَّه متى كان المبتدأ معلومًا من السياق جاز حذفه طلبًا للاختصار والإيجاز؛ لأنَّ في الحذف تحاشيًا عن التكرار والإطالة دون داعٍ يُرجى [٦]، لذا كان الأولى بالعناية والاهتمام هو الإتيان بالخبر.

الوظيفة الحجاجية لحذف المبتدأ في الآيات السابقة:

ورد في الآيات السابقة حذف المبتدأ، وقد كان الحذف لعلة حجاجية في كلٍّ من هذه الآيات، ولبيان هذا أقول:

العلة الحجاجية لحذف المبتدأ في قوله ـ تعالى ـ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾:

١ ـ ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٩٢/٨، روح البيان: ٣٢٤/٩، فتح القدير: ١٨٣/٥، الجدول في إعراب القرآن الكريم: ١٣/٢٥.

٢ ـ سورة الواقعة آية: ٤٢.

٣ ـ ينظر: فتح القدير: ١٨٤/٥، الجدول في إعراب القرآن الكريم: ١١٧/٢٧.

٤ ـ سورة الواقعة آية: ٨٠.

٥ ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١١٦/٥، الكشاف:٤/ ٤٦٩، البحر المحيط :٩٣/١٠، اللباب في علوم الكتاب: ٣٤٣/١٩.

٦ ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن:٣/ ١٠٥، معترك الأقران: ٢٣١/١.

الغرض من هذه الآية الكريمة والآية السابقة عليها والآيات التالية لها هو بيان صفات الواقعة، وما يكون فيها من أحداث جِسام، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ السامعَ متشوقٌ إلى معرفة هذه الصفات والأحداث؛ لذا كان الأهم والأولى بالعناية في هذه الآية الكريمة هو ذكر الخبر تحقيقًا للغرض المراد، وقد كان الحذف هنا أبلغ في أداء المعنى ممَّا لو ذُكِر المبتدأ؛ إذ في هذا مراعاة لحال المتلقي.

وقد أدى الحذف أيضًا إلى مزيد من إقناع المتلقي بالقضية المعروضة وهي وقوع الواقعة من خلال التركيز على الأحداث التي تقع فيها.

العلة الحجاجية لحذف المبتدأ في قوله ـ تعالى ـ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾:

تحدث القرآن الكريم في الآيات السابقة على هذه الآية الكريمة عن (السابقين)، وذكر أنَّهم مقربون في جنات النعيم؛ ومن ثَمَّ فالنفس متشوقة متطلعة إلى معرفة مَنْ هم؟ لذا حُذِف المبتدأ ههنا توافقًا مع حال المتلقي؛ لأنَّ الحذف يؤدي للإسراع إلى ذكر الخبر الذي تصبو نفس المتلقي إلى معرفة حقيقته؛ لذا كان حذف المبتدأ أبلغ في أداء المعنى من ذكره.

ولحذف المبتدأ في هذه الآية الكريمة علة حجاجية أخرى وهي التأثير في المتلقي من خلال إخباره مباشرة بأنَّ أصحاب هذه المنزلة العُليا ليسوا بالكثير، ولكنهم جماعة من الأولين وقلة من المتأخرين؛ ومن ثَمَّ فالمؤمن يعمل جاهدًا لينال هذه المنزلة.

العلة الحجاجية لحذف المبتدأ في قوله ـ تعالى ـ ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: سُبِقت هذه الآية الكريمة بقوله ـ تعالى ـ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، وقد اكتنف هذه الآية الغموض والإبهام عن حال أصحاب اليمين؛ ومن ثَمَّ فنفس

المتلقي متشوقة إلى ما يزيل هذا الغموض والإبهام ويبيِّنه ويوضِّحه[1]؛ ولذا جاء قوله ـ تعالى ـ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ بحذف المبتدأ اعتمادًا على ذكره في الآية السابقة؛ وذُكِر فيها الخبر مباشرة لأنَّ فيه الإيضاح والبيان لهذا الغموض والإبهام ؛ومن ثَمَّ كان هو الأهم والأولى بالذكر؛ إذ هو يؤدي الغاية المقصودة التي ينتظرها المتلقي بلهفٍ وشوق ؛ ولذا كان حذف المبتدأ هنا أبلغ من ذكره.

وأمَّا عن العلة الحجاجية لحذف المبتدأ في قوله ـ تعالى ـ ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ فهي هنا مثلها في قوله ـ تعالى ـ{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}؛ فقوله ـ تعالى ـ{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ}فيه من الغموض والإبهام ما فيه، وقد جاءت هذه الآية بالبيان والإيضاح من خلال ذِكْر الخبر مباشرة ؛ إذ هو الذي يزيل ما لدى المتلقي من غموض وإبهام عن حال أصحاب الشمال ، وقد حُذِف المبتدأ هنا اعتمادًا على تقدم ذكره في السياق؛ وبهذا يكون حذف المبتدأ قد حقق الوظيفة والغاية الحجاجية المطلوبة منه، والقرآن الكريم بحذف المبتدأ وذكر الخبر قد راعى حال المتلقي وذكر له ما هو أهم وأولى عنده.

وأمَّا عن العلة الحجاجية لحذف المبتدأ في قوله ـ تعالى ـ{تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} فهي: إقناع المتلقي بأنَّ القرآن الكريم منزَّل من عند الله مع الرد على المكذبين به، ولبيان ذلك أقول : إنَّ الآيات السابقة على هذه الآية لما تحدثت عن وصف القرآن بأنَّه كريمٌ ولا يمسه إلا المطهرون ترقب المتلقي معرفة كنهه[2]؛ لذا بيَّن اللهُ ـ عز وجلَّ ـ حقيقة القرآن بقوله{تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}؛ ومن ثَمَّ كان المناسب هنا هو الإسراع إلى ذكر (الخبر)؛ إذ هو محور اهتمام وترقُّب

١ . ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨٨/٢٩، ٣٨٩ بتصرف.

٢ . ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٤/٢٩.

المتلقي؛ من أجل الإجابة على ما يدور في ذهنه من تساؤلات ؛ وبذلك يكون القرآن الكريم حين ذكر الخبر وحذف المبتدأ قد راعي حال المتلقي وأوصله إلى الاقتناع بالقضية المعروضة، حتى وإنْ كذبَّ به هؤلاء في الظاهر، إلا أنَّهم في قرارة أنفسهم موقنين بأنَّ القرآن حقٌّ وصدقٌ ومنزَّلٌ من عند الله على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

المطلب الثالث: الحِجاج باستخدام أسلوب التوكيد:

تمثل مظاهر التوكيد في القرآن الكريم عدولًا كميًّا بالزيادة، والكلام قبل دخول ألفاظ التوكيد عليه يفيد معنى خبريًّا ابتدائيًّا، وبعد دخولها يمثل عدولًا عن الأصل [١].

ومقياس العدول هو مقياس ملموس يمكن أنْ يُلاحظ ويُحدد بعد أنْ نجرد الكلام المؤكَّد من ظواهر التوكيد التي دخلت عليه [٢].

وللتوكيد أساليب لغوية متعددة، واستعمال كلِّ أسلوب من أساليب التوكيد في القرآن الكريم إنَّما يكون تبعًا لاقتضاء السياق أو المقام له دون ما سواه، ولا تفاضل بين أساليب التوكيد(في البلاغة)؛ وذلك لأنَّ المقام إذا اقتضى منهما لونًا، كان هو البليغ دون ما سواه، وإنْ تفاوت قوة [٣].

وقد ورد الحِجاج باستخدام أسلوب التوكيد في سورة الواقعة في عدة صور، منها:

ـ الحجاج باستخدام التوكيد بصيغة الفعل الماضي الذي يراد به المستقبل:

من المعروف أنَّ الفعل الماضي يدل على حدوث شيء قبل زمن التكلم[٤]، ولكننا نجد القرآن الكريم قد استخدم الفعل الماضي للدلالة على حدث لم يقع بعد، وقد جاء هذا الاستخدام أسلوبًا حجاجيًّا، ولبيان هذا أقول:

عبَّر القرآن الكريم في سورة الواقعة بالفعل الماضي بدلًا من المستقبل في عدة مواضع، منها:

---

١ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٨٥.

٢ . ينظر: الحجاج في القرآن الكريم:٢٤٤،٢٤٥ بتصرف.

٣ . ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: ٩.

٤ . ينظر: اللمحة في شرح الملحة: ١/١٣١ التصريح: ١/ ٣٩.

ـ قولـه ـ تعـالى ـ{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}، وقوله ـ تعالى ـ{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا}،وقوله ـ تعالى ـ {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا}[١]،وقوله ـ تعالى ـ{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}[٢].

وقد استخدم القرآن الكريم في الآيات السابقة الفعل الماضي (وقع، رجَّ، بسَّ، كان) في الإخبار عن أمور مستقبلية؛ وبذلك يكون ظاهر اللفظ قد خالف معناه، والسر في العدول عن التعبير بالفعل الأمر الدال على الاستقبال إلى الفعل الماضي في هذه الآيات هو: صدق الله ـ تبارك وتعالى ـ في كلِّ ما أخبرنا بوقوعه؛ ومن ثَمَّ صار في الحصول كأنَّه قد كان ووقع بالفعل، فهذه الأفعال وإن لم تقع بعد إلا أنَّها محققة الوقوع لا محالة [٣].

الوظيفة الحجاجية للتعبير بالفعل الماضي فيما يُراد به المستقبل في الآيات السابقة

أُسْتُخدِم الفعل الماضي في الآيات السابقة فيما يراد به المستقبل لوظيفة حجاجية تمثلت في أنَّ مطلع السورة يتحدث عن قيام الساعة وما يعقبه من أحداث، وهذا أمر محل إنكار من المشركين؛ لذا عبَّر القرآن بالفعل الماضي ليؤكد لجميع المخاطبين (مَنْ ينكرُ منهم قيام الساعة ومَنْ لا ينكرُه) أنَّ يوم الساعة وما فيه من أحداث مُحقَّقُ الوقوع، وتعبير القرآن الكريم عن هذه الأحداث وتصويره لها بلفظ الماضي يُوحي لنا أنَّها قد وقعت بالفعل، بحيث لا يكون أمامَ المنكر مفرٌّ من الإذعان والتصديق بالأمر.

والتعبير عن الفعل المستقبل بالماضي يعد من أقوى أساليب التوكيد الحجاجية وأبلغها؛ إذ لا يحتاج هذا الأسلوب إلى مزيد من المؤكِّدات للوصول

١ . سورة الواقعة آية: ٥.

٢ . سورة الواقعة آية: ٧.

٣ . ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٠٧/٥، مُشكل إعراب القرآن: ٤١٧/١، النكت في القرآن الكريم :٢٠٨، التبيان: ٧٨٨/٢.

إلى الغرض من الآية، بل يُعْدَل فقط في التعبير عن استخدام الفعل الأمر إلى استخدام الفعل الماضي، وهذا العدول يكفي للوصول من خلاله إلى الغرض المراد إثباته؛ وبالفعل فقد دلت صيغة الفعل الماضي على تحقق وقوع هذه الأحداث لا محالة.

وقد تناسب التعبير بالفعل الماضي بدلًا من المستقبل مع السياق الذي وردت فيه الآيات؛ كما ناسب هذا التعبير أيضًا حال المخاطبين المنكرين لقيام الساعة.

وفي صدور هذا التعبير عن المُخْبِر به وهو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بصيغة الماضي دلالةٌ على أنَّ الفعل المستقبل والماضي عنده شيء واحد من حيث تحقق الوقوع [١].

ـ الحِجاج باستخدام التوكيد بلفظ(الواقعة):

عبَّر القرآن الكريم عن قيام الساعة بلفظ الواقعة في قوله ـ تعالى ـ{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}، وقد أُختُلِفَ في حقيقة لفظ (الواقعة):

فذهب عامة المفسرين إلى أنَّها اسمٌ من أسماء يوم القيامة؛ وسميت القيامة واقعة لأنَّها لابد من

وقوعها [٢].

وذكر ابن القطاع أنَّها مصدرٌ [٣].

---

١ . ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٥٢/٤.

٢ . ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج :١٠٧/٥، إعراب القرآن للنحاس:٢١٥/٤، النكت في القرآن الكريم: ٤٧٨، إعراب القرآن للأصبهاني: ٤١٨، بحر العلوم: ٣/ ٣٩٠، تفسير القرآن:٣٤١/٥، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٥/٥، المحرر الوجيز:٢٣٨/٥.

٣ . ينظر: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر: ٢٧٤.

ويرى ابن عاشور أنَّ الواقعةَ وصفٌ قد صارت علمًا ليوم القيامة بالغلبة في اصطلاح القرآن[١].

وقيل: هي اسمُ فاعلٍ فكأنَّها من وقوع الشيء وسقوطه[٢].

ولستُ مع ابن عاشور فيما ذهب إليه من أنَّها وصفٌ وقد صارت علمًا بالغلبة؛ لأنَّ هذا سيُقال في باقي الصفات الأخرى الواردة في وصف يوم القيامة نحو: الطامة والصاخة والحاقة والقارعة وغيرها من الصفات التي ذكرها القرآن الكريم؛ ممَّا يعني أنَّ جميعها صفاتٌ في الأصل ثم صارت أعلامًا بالغلبة.

والأولى أنَّ يُقال إنَّ لها اسمًا واحدًا وهو الساعة أو القيامة، ولهذا الاسم صفات متعددة، ولكلِّ صفة منها دلالة تختلف عن غيرها؛ لكونها تصف أمورًا ستكون في هذا اليوم المشهود.

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّني أميل إلى القول بأنَّ لفظ(الواقعة)ليس اسمًا للساعة؛ لأنَّه يلزم على القول بأنَّ لفظ (الواقعة) اسمٌ للساعة، أنْ يجوز استعماله دومًا للتعبير به عنها في كل المواضع، ويعني أيضًا أنَّ كلَّ واحدٍ من الأسماء التي وردت مرادًا بها يوم القيامة يجوز أنْ يحل محل غيره من أسمائها ويؤدي معناه، وليس الأمر على هذا النحو؛ لأن لفظ (الواقعة) وصفٌ من أوصاف الساعة، ومن المعروف أنَّ للساعة أوصافًا كثيرة، وكلَّها كائنة وموجودة فيها، وليس واحدٌ من أوصافها بمعنى الآخر، وكل موضع في القرآن الكريم ذُكِر فيه وصفٌ من أوصافها كان لمناسبة مقتضى الحال في هذا الموضع.

وكان من المناسب في هذا المقام أنْ توصف الساعة بـ (الواقعة)؛ لأنَّ سورة الواقعة تتحدث عن إثبات البعث، وعن مراتب الناس في هذا اليوم العظيم؛

١ . ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨١/٢٧.

٢ . ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٨٨٠، روح البيان: ٣١٦/٩.

ولذا عبَّر القرآن الكريم هنا بلفظ (الواقعة) لتأكيد أنَّ القيامة واقعة لا محالة؛ ومن ثَمَّ فالبعث أيضًا حاصلٌ وكائنٌ لا محالةَ.

وكون الواقعة وصفًا لا يلزم منه أنْ تكون اسمَ فاعلٍ، وإنَّما هي مصدر بمنزلة قولهم: حدثت الحادثة، وكانت الكائنة، والعرب تسمي كلَّ متوقعٍ لا بُد منه واقعًا، وكأنه قيل: إذا وقعت القيامة التي لابُدَّ من وقوعها [١].

العلة الحجاجية للتعبير بلفظ(الواقعة) في قوله ـ تعالى ـ{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}: يرى الدكتور/ عبد الله صولة أنَّه قد عُدِل عن التعبير بلفظ القيامة(الاسم) إلى التعبير بصفة من صفاتها وهي لفظ (الواقعة)، ومن المعروف أنَّ الصفة تحمل طاقةً حجاجيَّة أكثر من الاسم؛ إذ الصفات أكثر دلالة على المعاني المتنوعة من الأسماء، وقد كان هذا العدول لعلة حجاجية تتمثل في: أنَّه لما كانت سورة الواقعة تتحدث عن إثبات البعث والجزاء، وعن مراتب الناس يوم القيامة، وهذه الأمور قد وُجِّه إليها إنكارٌ من المشركين؛ فعُدِل عن لفظ القيامة إلى صفة من صفاتها وهي (الواقعة) لتفيد أنها حاصلة لا محالة ومتحقق وقوعها [٢]. ومن المعروف أنَّ صدق الخبر يتمثل في مطابقته للواقع، والمعنى المفهوم من لفظ(الواقعة) قد توافق مع مسمى ذلك المعنى في الوجود الحاصل أو المتوقع، على حسب ذلك المعنى وهو (الساعة أو القيامة) [٣]؛ فالقيامة أو الساعة ستقع لا محالة، والتعبير بلفظ الواقعة قد توافق مع هذا المسمى؛ لذا كان هذا الخبر مطابقًا للواقع.

---

١ ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج :١٠٧/٥، بحر العلوم: ٣/ ٣٩٠، الكشاف: ٤٥٥/٤، إرشاد العقل السليم: ٨/ ١٨٨، البحر المحيط:١٠/ ٧٥.

٢ ـ ينظر: الحجاج في القرآن: ١٨٥بتصرف يسير.

٣ ـ ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٨١.

كما أنَّ في التعبير بلفظ الواقعة دون غيرها مراعاةً لحال المخاطبين بالسورة، وللسياق الذي وردت فيه ؛فالمخاطبين منهم المقرُّ ومنهم المنكر، والتعبير بهذا اللفظ يدل على تحقق وقوعها لا محالة ، ومن ثَمَّ فمن كان من المخاطبين مقرٌّ ازداد يقينًا ، ومن كان منهم منكرٌ تأكد لديه أنَّ ما يحاول إنكاره مُحقَّق وواقع لا محالة ، وإمَّا عن مراعاة لفظ الواقعة للسياق فقد تمثل ذلك في أنَّ السياق الوارد فيه هذا اللفظ بداية من استخدام الشرط (إذا)، ثم التعبير بلفظ الفعل الماضي (وقع) دون المستقبل، هو سياق توكيد لأمر قيام الساعة، وقد جاء لفظ الواقعة متعاونًا مع ما قبله في تحقيق الغرض المراد من السياق، وكل هذه المؤكدات تدور حول إثبات أمر واحد وهو أنَّ قيام الساعة حاصل وواقع لا محالة.

ـ الحجاج باستخدام التوكيد بلفظ المفعول المطلق:

المفعول المطلق: هو المصدر المنتصب توكيدًا لعامله أو بيانًا لنوعه أو عدده نحو: ضربتُ ضربًا، وسرتُ سيرَ زيدٍ، وضربتُ ضربتين، وسُمِي مفعولًا مطلقًا لصدق اسم المفعول عليه غير مقيد بحرف جر ونحوه، بخلاف غيره من المفعولات فإنه لا يقع عليه اسم المفعول إلا مقيدًا كالمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول له [١].

وللمفعول المطلق أنواع فهو يأتي مؤكدًا لعامله، أو مبينًا للنوع، أو للعدد.

وإذا ما أمعنا النظر في أقسام المفعول المطلق نجدها تراعي أحوال المخاطبين وتتناسب مع ما يلائم المقام ، وفي ذات الوقت تستخدم أسلوبًا حجاجيًّا للوصول لغرض ما، فالمفعول المطلق المؤكد لعامله يكون في مقام عدم

١ . ينظر: الكتاب: ٣٥/١، الأصول في النحو: ١٥٩/١، اللمع في العربية: ٤٨، اللباب في علل البناء والإعراب :١/ ٢٦١، شرح الكافية الشافية: ٢/ ٦٥٥، شرح ابن عقيل: ١٦٩/٢.

تـيقن المخاطـب مـن وقـوع الحـدث مـن المـتكلم، وشـكِّه فـي حدوثـه، فعنـدما نقول:(ضربت زيدًا ضربًا) فعلة مجيء المفعول المطلق على هذه الصورة هي أنَّ المخاطب لما قيل له : (ضربت زيدًا) قد صدر منه شكٌّ في وقوع الضرب منك ؛ ولذا فقد أكدت له الحدث عن طريق المفعول المطلق، وبذلك يكون المفعول المطلق هنا قد أُستُخدم أسلوبًا حجاجيًّا لتأكيد وقوع الحدث من المتكلم ؛ ولهذا السبب لا يجوز حذف عامل المفعول المطلق المؤكد لعامله؛ لأنَّ المفعول المطلق إنَّما جاء لتأكيد هذا العامل[1]، وفي حالة مجيء المفعول المطلق مبيِّنًا للنوع فإنَّما يأتي على هذه الصورة أيضًا لمراعاة حال المخاطب؛ لأنَّه في هذه الحالة عالمٌ بوقوع الحدث ولكنه لا يعلم نوعه، وأيضًا في حال مجيء المفعول المطلق مبيِّنًا للعدد، فإنَّما جاء على هذه الصورة لأنَّ الذي يحتاج المخاطب إلى معرفته هو عدد مرات وقوع الحدث، وبهذا تكون أحوال المفعول المطلق قد جاءت لمراعاة حال المخاطب وللسياق الذي ورد فيه الكلام ، وعلى قدر ما يحتاج المخاطب تأتي صورة المفعول المطلق .

وبالنظر إلى أنواع المفعول المطلق نجدها خيرَ تمثيلٍ لمبدأ النحو التداولي الذي يراعي حال المخاطب والمقام والسياق، ومن خلال هذه المراعاة يتمكن من أداء وظيفته الحجاجيَّة باقتدار.

١ . ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢/ ٦٥٧، أوضح المسالك:١٨٧/٢، شرح ابن عقيل: ١٧٥/٢.

وقد أُسْتُخدم لفظ المفعول المطلق لوظيفة أو لعلة حجاجيّة في عدة مواضع من سورة الواقعة، ومنها:

ـ قوله ـ تعالى ـ{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} :

فالمفعول المطلق في الآيتين هو قوله (رَجًّا) وقوله(بَسًّا) وقد جاء فيهما مؤكدًا لعامله(رُجَّ) و(بُسَّ).

الوظيفة الحجاجية التي قام بها المفعول المطلق في الآيتين السابقتين: أدى المفعول المطلق في الآيتين السابقتين وظيفة حجاجية تمثلت في تأكيده لعامله ؛ وذلك ليناسب المقام؛ إذ المقام مقام الحديث عن الساعة وما فيها من أحداث، ومن هذه الأحداث (رجُّ الأرض وبسُّ الجبال)، وهذا أمرٌ لا يقرُّ به كلُّ أحدٍ؛ إذ هناك من ينكر حدوثه؛ لذا كان من المناسب هنا للمقام تأكيد وقوع هذه الأحداث دون وصفها أو بيان عددها؛ إذ هناك مواضع أخرى في القرآن الكريم ستتولى هذا الوصف ؛ ولذا جاء المفعول المطلق في هذا المقام مؤكدًا لعامله ليؤكد وقوع هذه الأحداث، وممَّا لاشكَ فيه أنَّ التوكيد يجعل المُؤكَّد أوقع وأثبت في النفس ؛ ومن ثَمَّ يكون له أبلغ الأثر في استقراره في نفس المخاطب وتمكنه منها، وهو بذلك يؤدي إلى تحقيق الغرض المراد من الكلام، ويساعد على الوصول إلى النتيجة المرجوة.

ـ قوله ـ تعالى ـ {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [١]:

جاء المفعول المطلق في الآية الكريمة وهو قوله ـ تعالى ـ (إنشاء) مؤكدًا لعامله وهو الفعل (أنشأ)، وقد جاءت الآية السابقة في سياق الحديث عن منزلة أصحاب اليمين وما أعده الله لهم من نعيم في الآخرة ، ولبيان الوظيفة الحجاجية التي قام بها المفعول المطلق لابد من تفسير المراد من الفعل(أنشأ)وبيان مرجع

١ ـ سورة الواقعة آية: ٣٥.

الضمير في قوله ـ تعالى ـ{أنشأناهنَّ}،وأقول: الفعل (أنشأ) يدل في اللغة على ابتداء الخلق[١]، والضمير في قوله . تعالى . {أنشأناهنَّ} يحُتمل أنْ يكون مرجعه للحور العين، وعليه فالمراد بالإنشاء ابتداء الخلق، ويحتمل أن يكون مرجعه لنساء أهل الدنيا، وعلى هذا يكون الإنشاء بمعنى إعادة الخلق[٢]، ولكن ما عليه عامة أهل التأويل أنَّ المراد بالضمير هنا نساء أهل الدنيا؛ وهنَّ الأوائل لأنَّهن في النفوس أحلى والميل إليهن أقوى؛ ولأنَّهن عملن في الدنيا، والحور العين لم يعملن [٣].

وعود الضمير في الفعل (أنشأناهنَّ) للحور العين يُقْبَلُ لتقدم ذكرهنَّ في الآيات السابقة، ومتى عاد الضمير على نساء أهل الدنيا يكون قد عاد على غير مذكور، وكما قال الأخفش: " أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك" [٤].

وإنَّما جاز عود الضمير في (أنشأناهن) على نساء أهل الدنيا مع عدم ذكرهن في الآيات السابقة؛ اعتمادًا على دلالة السياق؛ لأنَّ مرجع الضمير ملحوظ في الأفهام؛ لأنَّ هذه الآية بمثابة بيان عن سؤال مقدَّر عن صفة الرفيقات في الجنة على الفرش المرفوعة [٥].

---

١ . ينظر: الصحاح:٧٧/١، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥١/٥، لسان العرب:١٧٢/١.

٢ . ينظر: الكشاف: ٤٦١/٤، مفاتيح الغيب:٤٠٧/٢٩، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٤٢٣/٣، البحر المحيط: ٨٢/١٠، التحرير والتنوير:٣٠١/٢٧.

٣ . ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس:٤٥٤، تفسير مجاهد:٦٤٢، غريب القرآن: ٤٤٩، بحر العلوم: ٣٩٣/٣، معالم التنزيل:٩/٥ـ ١١، المحرر الوجيز: ٢٤٤/٥، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٠/١٧، روح المعاني: ١٤١/١٤.

٤ . معاني القرآن للأخفش: ٥٣٢/٢.

٥ ، ينظر: الدر المصون:٢٠٧/١٠، التحرير والتنوير:٣٠١/٢٧.

وقد استبعد ابن عطية وأبو حيان كون الضمير في(أنشأناهن) يعود إلى الحور العين؛ وعللا ذلك بأنَّ تلك القصة قد انقضت وهي قصة السابقين، وهذه قصة أصحاب اليمين[١].

الوظيفة الحجاجية التي قام بها المفعول المطلق في قوله ـ تعالى ـ{إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً}:

تبين ممَّا سبق أنَّ الأرجح عود الضمير في قوله ـ تعالى ـ{أنشأناهنَّ}لنساء أهل الدنيا، وأنَّ معنى قوله

ـ تعالى ـ {أَنْشَأناهُنَّ} أي: أعاد خلقهنَّ؛ ومن ثَمَّ فقد يتطرق إلى الأذهان أنَّ إعادة الخلق لنساء الدنيا ستكون على نفس الحال والهيئة اللاتي كُنَّ عليها في الدنيا؛ ولذا جاء المفعول المطلق (إنْشاء) ليؤكد عامله وهو أنَّ الإنشاء حاصلٌ بالفعل، ولكنه في ذات الوقت سيكون دفعة واحدة من غير توسط ولادة ولا تربية، ممَّا يعني أنَّه خلقٌ مغايرٌ لخلق الدنيا [٢].

فالوظيفة الحجاجية التي قام بها المفعول المطلق (إنْشَاء) هي تأكيد أنَّ إعادة الخلق ستكون مغايرة لخلق الدنيا من حيث طبيعة الخلق ،وأنَّه يحصل دفعة واحدة كما هو الحال في الحور العين ، وأيضًا من حيث صفات المخلوق ، فالله ـ عزَّ وجلَّ . إذا كان قد أعدَّ للسابقين المقربين الحور العين اللائي ابتدأ خلقهن دفعة واحدة، فقد أعدَّ أيضًا لأصحاب اليمين نساء أهل الدنيا من الصالحات، ولكنهنَّ على حال مغايرة تمامًا لحالهنَّ في الدنيا، من أجل إتمام النعيم عليهم، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ مثل هذا له أبلغ الأثر في النفس؛ لأنَّه يجعل المؤمنين في شوق لهذا النعيم.

١ . ينظر: المحرر الوجيز :٥/٢٤٤، البحر المحيط: ١٠/٨٢.

٢ . ينظر: البحر المحيط: ١٠/٨٢، روح المعاني: ١٤/١٤١.

ـ قوله ـ تعالى ـ {فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}[١]:

المفعول المطلق في الآية الكريمة هو قوله ـ تعالى ـ (شُرْب) وهو مضاف وقوله(الهِيم) مضاف إليه، والمفعول المطلق هنا قد جاء مبيِّنًا للنوع مع إفادة توكيد المعنى؛ إذ تخصيص المفعول المطلق ببيان نوعه يقوي حضور المقتضى في الكلام القرآني الحاوي مثل هذا التركيب، وهو ضرب من التوكيد [٢].

وقد قُرِئ قوله (شُرْبَ) بضمّ الشِّين وفتحها وكسرها:

فقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين [٣]، وقد اُختُلف فيه فقيل: هو مصدرٌ، كما قيل في مصدر الفعل (ضَعُف): الضُّعْف، والضَّعْف[٤]، ومن القائلين بأنَّه مصدرٌ الأخفش والزمخشري [٥].

وقيل: (الشُّرْب)اسم بمعنى المصدر[٦]، ومن القائلين بهذا الزجاج والسمرقندي صاحب (بحر العلوم)وابن عاشور [٧].

---

١ . سورة الواقعة آية: ٥٥.

٢ ، ينظر: الحجاج في القرآن: ٣١٢، ٣١٣بتصرف.

٣ . ينظر: السبعة في القراءات: ٦٢٣، معاني القراءات: ٥٠/٣، تُحْفَة الأَقْرَانِ في مَا قُرِئ بِالتَّثْلِيث من حروف القرآن:١٠٩.

٤ـ ينظر: العين: ١/ ٢٨١، جمهرة اللغة:٩٠٣/٢، تهذيب اللغة:٣٠٥/١، الصحاح: ١٣٩٠/٤.

٥ . ينظر: معاني القرآن: ٥٣٢/٢، الكشاف:٤٦٣/٤.

٦ . ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٩/٨، المحرر الوجيز: ٥/ ٢٤٧، التبيان في إعراب القرآن: ١٢٠٥/٢، البحر المحيط: ٨٧/١٠.

٧ . ينظر: معاني القرآن وإعرابه:٥/ ١١٣، بحر العلوم: ٣٩٥/٣، التحرير والتنوير:٣١١/٢٧.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي(شَرْب الهيم) بفتح الشين[١]، ولا خلاف أنَّه مصدر مقيس[٢].

وقرأ مجاهد وأبو عثمان النهدي[٣](شِرْب الهيم) بكسر الشين [٤]، ولا خلاف خلاف أنَّه اسمٌ يراد به المشروب، مثل الطِّحن يُراد به المطحون [٥].

والقراءة المشهورة هي(شُرْب) بضم الشين، وقد ذكر الفراء أنَّ سائر القراء يرفعون الشين [٦].

وليس الأمر كما قال الفراء؛ إذ إنَّ منهم من قرأ بفتح الشين وبكسرها كما أشرتُ.

وقد ذكر النحاس أنَّ القول في هذا على قول الخليل وسيبويه أنَّ(شَرْبًا) بفتح الشين مصدر، و(شُرْبًا) بضمها اسم للمصدر يستعمل ههنا أكثر[٧].

---

١ . ينظر: السبعة في القراءات: ٦٢٣، إعراب القرآن للنحاس: ٢٢٥/٤، المحرر الوجيز: ٢٤٧/٥.

٢ ـــ ينظر: الكتاب:٥/٤، المقتضب:١٢٤/٢، التبيان:١٢٠٥/٢، شرح الشافية للرضي:٢٩٦/١، البحر المحيط:٨٧/١٠، توضيح المقاصد:٨٦٢/٢، شرح الأشموني: ٢٣٢/٢، التصريح:٢٦/٢.

٣ . هو: أبو عثمان النهدي عبد الرحمن بن مل، أدرك الجاهلية ولا صحبة له، أسلم في عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ، وأدى إليه الصدقات، وغزا في عهده، ومات سنة ٩٥ من الهجرة، وكان عمره(١٣٠) سنة. ينظر: مشاهير علماء الأمصار:١٥٩.

٤ . ينظر: زاد المسير: ٢٢٥/٤، تحفة الأقران:١٠٩.

٥ . ينظر: الكشاف:٤٦٣/٤، التبيان: ٢/ ١٢٠٥، البحر المحيط: ٨٧/١٠، الدر المصون: ٢١١/١٠، تحفة الأقران: ١٠٩.

٦ . ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٢٨/٣.

٧ . ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٢٥/٤.

وبناء على ما سبق فـ(شُرْب) نُصِب على أنَّه مفعول مطلق لكونه اسمًا للمصدر، أو كما قال السهيلي:" وربُّما اتسع فيه فجرى مجرى المصدر الذي اشتق الفعل منه"[١].

وقد اُختُلف في معنى(الهِيم) فقيل: هو داء معطش يصيب الإبل يجعلها تشرب ولا تروى إلى أنْ تنفجر وتموت، وقيل: الهيم الرمال التي لا تروى من الماء[٢].

وإضافة(الشرب) إلى(الهيم) أفادت التنبيه على كثرة شربهم منه، ومع كثرة هذا الشرب إلا

أنَّه بدون فائدة كما هو الحال مع الهيم أو الرمل [٣].

وأميل إلى أنَّ المقصود بالهيم شرب الإبل أو البهائم العِطاش؛ إذ هو أبلغ في تصوير المشهد، فليس تشبيههم بشرب الإبل أو البهائم العِطاش للماء كتشبيههم بشرب الرمل للماء؛ والمراد أنَّهم مع كراهة الشرب يزدادون منه، كما تفعل الإبل العِطاش التي لا ترتوي مهما شربت.

وقد تضمنت هذه الآية مع سابقتها تعجبًا بعد تعجب؛ فكونهم شاربين من الحميم مع ما هي عليه من تناهي الحرارة وتقطيع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم منه كما تشرب الهِيم أمر عجيب أيضًا [٤].

---

١ . ينظر: نتائج الفكر في النحو: ٢٨٥بتصرف يسير.

٢ . ينظر: معاني القرآن للفراء:٣/ ١٢٨،١٢٧، تأويلات أهل السنة:٩/ ٤٩٩، إعراب القرآن للنحاس:٤/ ٢٢٥، الهداية الى بلوغ النهاية: ٧٢٨١/١١، الكشاف:٤/ ٤٦٤، البحر المحيط:١٠/ ٨٧، التحرير والتنوير:٢٧/ ٣١١.

٣ . ينظر: الدر المصون:١٠/ ٢١٣،٢١٢.

٤ . ينظر: الكشاف:٤/٤٦٤، التحرير والتنوير: ٣١١/٢٧.

العلة الحجاجية لاستخدام المفعول المطلق المبين للنوع في قوله ـ تعالى ـ {فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}:

جاء المفعول المطلق في الآية الكريمة مبيِّنًا للنوع لبيان وتفسير هيئة الشرب من الحميم؛ لأنَّه يحتمل أنْ يكون المراد منه أنَّه مثل شرب الهيم، أو مثل شرب غيرها، وقد بيَّن قوله (الهيم)أنَّ شرب هؤلاء مثل شرب البهائم أو الرمال.

والعلة الحجاجية هنا لاستخدام المفعول المطلق المبين للنوع تتمثل في أمرين: أولهما: إفادة التوكيد الذي قيل عنه إنَّه في هذا الموضع أقوى وأعظم لتزاوج المفعول المطلق مع ما خُصص به، وصار التخصيص كالتأكيد للمفعول المطلق فهو تأكيد بعد تأكيد[١].

والأمر الثاني: أنَّ القرآن الكريم أراد بهذا التعبير الإخبار بأنَّه لا التفات إلى أمر إنكار هؤلاء الضالين المكذبين للعذاب، وأخبرنا أنَّ شربهم من الحميم أمرٌ مسلم به لا رجعة فيه ولا شكَّ في حصوله؛ ولذا شرع في هذه الآية في بيان هيئة الشرب وكيفيته، وكأنه بذلك لم يعطهم فرصة لمجرد التفكير في الإنكار، وفوَّت عليهم هذا الأمر، وهذا من باب استدراج المخاطب؛ ليسلم بالقضية المعروضة له[٢].

ونستطيع القول أيضًا إنَّ مجيء المفعول المطلق على هذه الصورة كان له أبلغ الأثر في تحقيق التخويف من عذاب الله، وقد نجح في تصوير هذا المشهد المخيف الذي يوضح مدى قبح الحالة التي سيكون عليها هؤلاء وفظاعتها.

ـ الحجاج باستخدام التوكيد بالتكرار لفظًا ومعنى:

للتكرار أثرٌ كبير في إيصال الغرض المطلوب من النص القرآني، ويأتي التكرار في القرآن الكريم لغرض ما كالتأكيد على الشيء، والتشييد من أمره، وقد

١ . ينظر: الحجاج في القرآن:٣٠٧ بتصرف.

٢ . ينظر: السابق:٣١٣،٣١٤ بتصرف.

قيل: إنَّ التكرار أبلغ من التأكيد، والكلام متى تكرر تقرر؛ وتكرار الشيء دليلٌ على العناية به، إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك [١].

وليس في القرآن الكريم مكرر لا فائدة في تكريره، وكما قال ابن الأثير: " فإن رأيت شيئًا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه، وانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف لك الفائدة منه"[٢].

وقد ورد في سورة الواقعة تكرار الألفاظ في عدة آيات، منها ما كان بتكرار المبتدأ في جملة الخبر، كما هو الحال في:

ـ قوله ـ تعالى ـ{فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحابُ الميمنة وأصحاب الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ} [٣].

ـ وقوله ـ تعالى ـ{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [٤].

ـ وقوله ـ تعالى ـ{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ} [٥].

ومنها ما لم يكن كذلك، كما في:

ـ وقوله ـ تعالى ـ{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [٦].

ـ وقوله ـ تعالى ـ{إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [٧].

١ . ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٤/٣، الإتقان في علوم القرآن:٢٢٤/٣.

٢ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٨/٣.

٣ . سورة الواقعة آية: ٨،٩.

٤ . سورة الواقعة آية:٢٧.

٥ . سورة الواقعة آية:٤١.

٦ . سورة الواقعة آية:١٠.

٧ . سورة الواقعة آية:٢٦.

وسأتحدث أولًا عن الآيات التي ورد فيها تكرار المبتدأ بلفظه في جملة الخبر:

من المعروف عند النحاة أنَّ الخبر متى كان جملةً فلابد من رابط يربط جملة الخبر بالمبتدأ، ومن هذه الروابط إعادة المبتدأ بلفظه في جملة الخبر[١]، كما هو الحال في الآيات السابقة.

العلة الحجاجية لتكرار المبتدأ بلفظه في جملة الخبر في الآيات السابقة:

ورد في الآيات السابقة تكرار قوله (أصحاب الميمنة)، (أصحاب المشأمة)، (أصحاب اليمين)، (أصحاب الشمال)، وقد كان هذا التكرار لعلة حجاجية تمثلت أنَّه قد أفاد توكيد المعنى مع تحقيق الغرض المراد من الآيات، ولبيان هذا أقول: الآيات السابقة تتحدث عن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وما أُعِدَّ لكلٍّ منهما من جزاء في الآخرة، ومن البديهي أنْ يكون هناك سؤال عن وصفهم وحالهم الذي كانوا عليه لينالوا هذا الجزاء؛ ومن ثَمَّ جاء بعد ذكر المبتدأ في الآيات السابقة استفهامٌ غرضه التعجب، وكأنه يقول: ما هم[٢]؟ أيّ: ما حالهم وما وصفهم وما فعلوا للوصول إلى هذه المنزلة والعاقبة التي لا عاقبة بعدها؟

فمعنى الآيات ـ والله أعلم ـ فأصحاب الميمنة ما هم؟ وأصحاب المشأمة ما هم؟ وأصحاب اليمين ما هم؟ وأصحاب الشمال ما هم؟

---

١ . ينظر: أمالي ابن الشجري: ٦/٢، شرح التسهيل لابن مالك: ٣١١/١، الارتشاف :٣/ ١١١٦، التذييل والتكميل:٤/ ٣١، مغني اللبيب:٥٧٥/٢، شرح الأشموني: ١٨٥/١.

٢ . ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨٩/٢٩، الجامع لأحكام القرآن:١٧/ ١٩٩، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٣/ ٤٢٠، البحر المحيط :١٠/ ٧٨، الدر المصون :١٠/ ١٩٤، إرشاد العقل السليم :٨/ ١٨٩.

غير أنَّ القرآن الكريم قد وضع الاسم الظاهر(المكرر) موضع الضمير، تماشيًا مع الغرض من كل آية، وهذا الغرض هو: الإشارة إلى التعظيم والتفخيم مع التعجب من شأن أصحاب اليمين حيث ذكرهم ظاهرًا مرتين، والتحقير والتهويل مع التعجب من شأن أصحاب الشمال حيث ذكرهم أيضًا ظاهرًا مرتين[١]؛ ولأنَّ مقام التعظيم والتفخيم والتهويل والتحقير والتعجب يقتضي الإظهار جاء التكرار بذكر الاسم الظاهر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فأسلوب التكرار قد جعل المعنى أمكن في النفس؛ وذلك لأنَّ جملة الخبر التي كُرِّر فيها لفظ المبتدأ قد حوت استفهامًا تعجبيًّا عن المبتدأ، وهذا الاستفهام قد حوى إبهامًا وغموضًا؛ ولأنَّ النفس تسعى دائما للكشف عن أيِّ إبهام وغموض ؛ كان من شأن هذا الأسلوب أنْ يجذب انتباه السامع ، ويجعل نفسه متشوقة ومتطلعة لمعرفة الحال التي عليها هؤلاء ،ومن ثَمَّ نرى نفسَ السامعِ تذهبُ كلَّ مذهبٍ ممكن في تخيل ما عليه حالهم ، وتتطلع لمعرفة صفاتهم وما فعلوا لينالوا هذا النعيم أو العقاب، ومتى وصلت النفس لمعرفة حالهم كان هذا أمكن وأدخل فيها[٢].

ـ الحِجاج باستخدام التكرار لغرض التوكيد اللفظي:

عرَّف النحاة التوكيد اللفظي بأنَّه تكرار اللفظ الأول بعينه اعتناءً به[٣].

وقد ورد في سورة الواقعة تكرار الألفاظ لغرض التوكيد اللفظي في موضعين:

---

١ . ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٨٩/٢٩.

٢ . ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٨٦بتصرف.

٣ . ينظر: الأصول في النحو: ١٩/٢، توجيه اللمع: ٢٥٧، شرح الكافية الشافية: ١١٨٣/٣، شرح التسهيل: ٣٠١/٣، الارتشاف :٤/ ١٩٥٨، توضيح المقاصد والمسالك: ٩٧٨/٢، شرح ابن عقيل: ٣/ ٢١٤، التصريح: ٢/ ١٤١.

الموضع الأول: قوله ـ تعالى ـ {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [١]فهذه الآية الكريمة تتحدث عن صنف من الأصناف الثلاثة التي سينقسم إليها الناس يوم القيامة، وهم المقرّبون أهل الدرجات العلى فِي جناتِ عدن، وهؤلاء في المقام الأول وهو مقام السبق في الآخرة، وبالرغم من تأخرهم في الذكر بعد أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، إلا أنَّ القرآن الكريم حين ذكرهم أعقب هذا بالحديث عن حالهم يوم القيامة لنكتة بلاغية وهي (مراعاة المقام وحال المخاطبين)؛ لأنَّه عند ذكر الواقعة استدعى المقام تقديم من ينفعه ذكر الأهوال، وتأخير من لا يختلف حاله بالخوف والرجاء، ولما جاء البيان والتفصيل استدعى المقام تقديم السابق لفضيلته وفضيلة حاله [٢] .

وقد ورد لفظ(السابقون)في الآية الكريمة مكررًا، ولم تتفق كلمة المفسرين والنحاة في إعراب اللفظ المكرر، فقد قيل في قوله (السابقون) المكررة: إنَّها خبر [٣]، وقيل: هي نعت [٤]، وقيل: هي توكيد لفظي للأولى [٥]، وهذا القول هو الأولى عندي بالقبول؛ لأنَّ الظاهر من حيث المعنى أنَّ قوله ـ تعالى ـ {أولئك

---

١ . سورة الواقعة: آية :١٠.

٢ . ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩٠/٢٩.

٣ . ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٢/٣، إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس: ٢١٧/٤، مشكل إعراب القرآن: ٧١١/٢، التبيان في إعراب القرآن :١٢٠٣/٢، إعراب القرآن العظيم: ٥١٠.

٤ . ينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس:٢١٧/٤، مشكل إعراب القرآن: ٧١١/٢، التبيان:١٢٠٣/٢.

٥ . ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٢/٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٠٩/٥، التبيان في إعراب القرآن: ١٢٠٣/٢، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن:٥٤٧، تفسير السمعاني: ٣٤٣/٥، البحر المحيط:٧٩/١٠، الدر المصون: ١٠/ ١٩٦، روح المعاني: ١٣٣/١٤.

المقربون}[1] هو الخبر، والقول بأنَّه نعت فيه نظرٌ؛ لأنَّ الصفة تكمل وتوضح معنى المنعوت بشيء لم يرد في المنعوت، و(السابقون) الأولى اشتملت على معنى السبق؛ ومن ثَمَّ فمَنْ جعله نعتًا لم يأت بجديد.

العلة الحجاجية لاستخدام التوكيد اللفظي في الآية السابقة:

ورد في الآية السابقة التوكيد اللفظي بتكرار لفظ (السابقون) لعلة حجاجية تتمثل في الاهتمام والاعتناء بقوله (السابقون)المقدم، والحرص على تمكينه، وتأكيده، وتشييده في ذهن المخاطب[2]، وقد كان حضور الذهن مطلوبًا في هذه الآية لاستقبال ما سيأتي عن منزلة(السابقين) في الجنة؛ لأنَّه لن يؤخر الحديث عنهم كما فعل مع الصنفين السابقين، لذا كرر اللفظ توكيدًا لمعنى السبق، وحرصًا على حضوره في الذهن، ومن ناحية أخرى فالقرآن الكريم حين كرر لفظ (السابقون) قد جعل سياق هذه الآية الكريمة يمشي على وتيرة واحدة مع سياق الآيتين السابقتين عليها، من حيث احتواء كلٍّ منها على التوكيد، وقد حصل التوكيد في الآيتين السابقتين من خلال التكرار للفظ المبتدأ في جملة الخبر؛ ومن ثَمَّ فقد كرر في هذه الآية لفظ (السابقون) ليكون هذا التأكيد في مقابل ما سبقه من التأكيد في قوله ـ تعالى ـ {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}.

ـ الموضع الثاني للتكرار لغرض التوكيد اللفظي قوله ـ تعالى ـ{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا}[3]، وقد ورد في هذه الآية الكريمة التوكيد اللفظي بتكرار لفظ(سلامًا)[4].

---

١ ـ سورة الواقعة: آية :١١.

٢ ـ ينظر: المثل السائر: ٤/٣، شرح المفصل: ٤٤/٣بتصرف.

٣ ـ سورة الواقعة: آية ٢٥،٢٦.

٤ ـ ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: ١١٣/٢٧.

وتتحدث هذه الآية الكريمة عمَّا يسمعه المقربون في الجنة، وقد نفت عنهم سماع ما فيه لغو أو أثم ،وأثبتت لهم سماع القول بالسلام ، وقد عبَّرت الآية الكريمة عن هذا المضمون بأسلوب لطيف تضمن أمرًا بلاغيًّا، أفاده أسلوب الاستثناء المنقطع ، وقد اشتملت الآية على ما يعرف بلاغيًّا بتأكيد المدح بما يشبه الذم، فقد نُفِي عن المقربين صفة مذمومة وهي أنَّهم لا يسمعون لغوًا ولا تأثيمًا وهذا مدح لهم ،ثم أعقبت ذلك باستثناء من صفة الذم المنفية، وهنا توقع المتلقي سماعهم لشيء من اللغو، إلا أنَّ الآية أتبعت ذلك بصفة مدح وهي أنَّهم لا يسمعون إلا القول بالسلام ، وهذا مدح بعد مدح ، قد جاء في أبهى قالب وآنق منظر[١].

العلة الحجاجية لاستخدام التوكيد اللفظي في الآية السابقة:

جاء لفظ (سلامًا) مكررًا في الآية السابقة ، وما جاء هذا التكرار إلا لعلة حجاجية تتمثل في عدة أمور:

الأول: توكيد المعنى المقصود؛ لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام، فلا يسمعون لغوًا البتَّة [٢]، وبمعنى آخر إذا كان ما يسمعه المقربون من اللغو والتأثيم، هو القول بالسلام فكيف بما لا لغو فيه ولا تأثيم؟ وهذا غاية في تنزيه مجلسهم، وحفظ أسماعهم من أن يطوف بها شيء من اللغو أبدًا [٣].

والثاني: الاهتمام والاعتناء بقوله (سلامًا)المقدم وتمكينه في سمع المخاطب وذهنه؛ خوفًا من توهم المجاز، أو توهم غفلة عند استماعه [٤].

---

١ . ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٢١/٧، عروس الأفراح :٢٧١/٢، روح المعاني :١٤/ ١٣، التحرير والتنوير: ٢٩٧/٢٧.

٢ . ينظر: زاد المسير في علم التفسير:٣/ ١٣٩.

٣ . ينظر: التفسير القرآني للقرآن :٧١٢/١٤.

٤ . ينظر: المثل السائر: ٤/٣، شرح المفصل: ٤٤/٣بتصرف.

الثالث: توكيد الحقيقة التي ذكرها القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا في مواضع عديدة وهي: أنَّ السلام لا ينقطع عن أهل الجنة في كل أحوالهم فهم في مجالسهم لا يسمعون لغوًا ولا سخفًا من القول، ولكن يسمعون السلام من ربهم - عز وجلَّ -، ومن الملائكة، ومن تحية بعضهم لبعض [١]، كما أنَّه يتناسب مع المكان؛ لأنَّ الجنة هي دار السلام، ويتناسب أيضًا مع الجو النفسي المحيط بهم فكل مَنْ في الجنة لغتهم هي السلام.

ولم يكن لأيٍّ من هذه الأمور الثلاثة أنْ تحدث بدون التكرار.

ـ الحجاج باستخدام التوكيد بـ(إنَّ) واللام:

من الأساليب التي تكسب المعنى توكيدًا أنْ يدخل على الكلام (إنَّ)؛ إذ هي عوض عن تكرير الجملة، وفي هذا اختصار للكلام مع حصول التوكيد، وإذا ما دخلت معها (اللام) في جملتها اكتسب الكلام مزيدًا من التوكيد، وصارت (إنَّ واللام) عوضًا عن تكرار الجملة ثلاث مرات، ولكن لا ينبغي أن تتوالى (إنَّ واللام) بل لابد من الفصل بينهما بفاصل حتى لا يتوالى حرفان بمعنى واحد [٢].

ومقامات الكلام مختلفة: فمقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، ولكل من هذا مقتضى غير مقتضى الآخر، وهو ما يسمى مقتضى الحال[٣]، وقد جاء القرآن الكريم وهو المثل الأعلى في الفصاحة والبلاغة مراعيًا لمقتضى حال المخاطبين؛ فخطابه لخالي الذهن يخالف خطابه للمتردد، وخطابه للمنكر يخالف خطابه لخالي الذهن وللمتردد.

---

١ . ينظر: البحر المحيط: ٤٠/٦ بتصرف.

٢ . ينظر: الكتاب:٢٣٣/٣، المقتضب: ٣٤٤/٢، الأصول: ٢٩٩/١، اللباب في علل البناء والإعراب: ٢٠٥/١، شرح الأشموني :٣٠٥/١.

٣ . ينظر: مفتاح العلوم: ١٦٨، الإيضاح في علوم البلاغة: ٦٩/١.

وقد ورد في سورة الواقعة التوكيد باستخدام (إنَّ واللام) معًا في العديد من المواضع، وزيد عليهما في بعض المواضع مؤكِّدات أخرى.

ومن المواضع التي ورد فيها الحجاج باستخدام التوكيد بـ(إنَّ واللام) قوله ـ تعالى ـ{قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ} [١]، ففي هذه الآيات يأمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ النبي ـ ﷺ ـ أنْ يقول للمنكرين لبعثهم وبعث آبائهم الأولين: إنَّكم وآباءكم ومَنْ قبلكم ومَنْ بعدكم لمجموعون يوم القيامة، ولضلالكم وكذبكم ستأكلون من شجر الزقوم.

العلة الحجاجية للتوكيد باستخدام (إنَّ واللام) في الآيات السابقة:

استخدم القرآن الكريم في هذه الآيات السابقة التوكيد بـ(إنَّ واللام)معًا لعلة **حجاجية تتمثل في:** أنَّ أسلوب التوكيد بهذه الصورة قد جعل مضمون الجمل التي جاءت على صيغة الخبر الإنكاري يقينًا بحتًا، وقد تحقق هذا اليقين من خلال التوكيد بالمؤكِّدين(إنَّ واللام)،وهما يدلان معًا على معنى (التحقق)؛ فـ(إنَّ) تفيد التوكيد، وفيها معنى الفعل(حقَّقَ)[٢]،وأمَّا(اللام) فإنَّها وإنْ لم يكن لها عمل (إنَّ) في الجملة بعدها، إلا أنَّها هي الأُخرى تفيد معنى التوكيد الذي لـ(إنَّ)كاملًا ،فمعنى الآيات ـ والله أعلم ـ : أنا متحقق تحقُّقًا كاملًا من جمع الأولين والآخرين يوم القيامة للحساب والجزاء، ومن أكلكم من الزقوم أيُّها المكذبون الضالون، أو **المعنى القاطع** : بعث الأولين والآخرين يوم القيامة للحساب والجزاء؛ فأسلوب التوكيد هنا جاء ليؤكِّد أنَّ البعث الذي ينكره هؤلاء أمرٌ يقيني ، وهو حاصل وواقع لا محالة ، وقد جاءت الآية بمؤكدين ليتناسبا مع درجة إنكار هؤلاء ؛ لأنَّ الآيات

١ . سورة الواقعة: آية :٤٩،٥٠،٥١،٥٢.

٢ . ينظر: الإنصاف: ١/١٤٥.

السابقة على هذه الآيات قد دلت على إنكارهم للبعث أشد الإنكار واستبعادهم له؛ لذا جاءت الآيات بتأكيد بعد تأكيد، ولكلا المؤكِّدين نفس الوظيفة الحجاجية من جهة الاقتضاء الذي يكسب المعنى التوكيد؛ وهذا الاقتضاء استلزم أنَّه حين يُؤكَّد المنطوق توكيدًا مضاعفًا يؤخر لحظة اعتراض السامع أو المخاطب على القضية التي يعرضها هذا المنطوق، ونكتة ذلك أنَّ القضية قد تحولت بسبب التوكيد المضاعف إلى مقتضى يجعل استئنافها والتعقيب عليها قد فات أوانهما، وأنَّ المقتضى قد صار حقيقة مؤكدة لا جدالَ فيها ، ممَّا يعني أنَّ التوكيد بـ (إنَّ واللام) قد وجه الحوار توجيهًا لا يملك المخاطب له ردًّا[1].

ومثل هذه الوظيفة الحجاجية للتوكيد بـ (إنَّ واللام) معًا لم يكن لينهض لها الأسلوب العاري عن التوكيد بهما معًا، وهذا يؤكد أنَّ القرآن الكريم يستخدم في كل مقام ما يناسبه من المقال، وتأتي أساليبه مراعية لحال المخاطبين.

ـ ومن المواضع التي ورد فيها التوكيد بـ (إنَّ واللام) معًا قوله ـ تعالى ـ{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [2]:

جاءت هاتان الآيتان بعدما قامت الحجة في الآيات السابقة عليهما على خطأ المشركين في تكذيبهم للقيامة والبعث والحساب والجزاء، وأكدت تحقيق وقوعها بالأدلة والبراهين، وبذلك فقد تبيَّن صدق ما أنبأهم به القرآن الكريم؛ ولذلك تهيَّا المقام هنا للتنويه بشأن القرآن الكريم، وأنَّه كتابٌ كريم منزَّل من عند الله، عظيمُ الشأن، منزَّهٌ عن النقائص ؛ فبدأت هذه الآيات بالقسم ، وفي هذا تأكيد للأمر وتنبيه من المقسم به، وقد أقسم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمواقع النجوم وهي:

١ . ينظر: الحجاج في القرآن الكريم: ٣٠٢ ـ ٣٠٥ بتصرف.

٢ . سورة الواقعة: آية :٧٥،٧٦.

مساقط النجوم أي: مواضع غروبها، وأقسم بها لما علق بها من مصَالح العباد، وقيل: بمواقع النجوم أي: بنزول القرآن؛ لأنَّه نزل نجومًا آية بعد آية[١] .

الوظيفة الحجاجية لاستعمال (إنَّ واللام) في قوله ـ تعالى ـ {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} :

أدى استعمال (إنَّ واللام) معًا في الآية السابقة دورًا ووظيفة حجاجية تمثلت في: التأكيد على عظم المقسم به وتفخيمه والتعظيم من شأنه ؛ واستحضاره وتمكينه في ذهن المخاطب؛ لينتبه ويرجع إلى نفسه سائلًا لها عن سبب عظم هذا المقسم به سواء أكان المراد به نجوم القرآن أم مغارب النجوم ؛ لأنَّ كليهما له من الشأن ما له ، فالقرآنُ هو كتابُ الله الكريم المنزَّل من عنده، ومواقع النجوم فيه دلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ؛لأنَّ تلك المساقط في حال سقوط النجوم عندها تُذَكِّرُ بالنظام البديع المجعول لسير الكواكب كل ليلة، لا يختل ولا يتخلَّف، وتُذَكِّرُ أيضًا بعظمة الكواكب وبتداولها خلفة بعد أُخرى، وذلك أمر عظيم يحق القسم به الراجع إلى القسم بمبدعه[٢]، وقد قيل عن القسم بمواقع النجوم :لا يلزم الفلاسفة دليل أظهر منه[٣] .

والعاقل يرجع إلى نفسه بعد كل هذه المؤكدات ويتساءل لمَ كان المقسم به عظيمًا عند الله؟ ولمَ أقسم الله به صراحةً دون غيره في هذه السورة الكريمة؟ ومثل هذا من شأنه أن يدفع الخصم إلى طرح أسئلة داخلية في نفسه يجيب عليها بنفسه، ممَّا يدفعه في النهاية إلى الإقرار والاعتراف بصحة ما ذكره القرآن

١ . ينظر: بحر العلوم: ٣٩٧/٣، المحرر الوجيز: ٢٥١/٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٨٢/٥، روح المعاني :١٥٢/١٤.

٢ . ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٨٢/٥، التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٣٠، ٣٣١.

٣ . ينظر: مفاتيح الغيب: ٤٢٧/٢٩.

من عظم المقسم به، وهذا تمهيد لتهيئة الذهن إلى الإقرار والاعتراف والتصديق بمضمون الجملة المقسم عليها وهي قوله ـ تعالى ـ{إِنَّه لقرآنٌ كَرِيمٌ} [1].

ـ ومن المواضع التي ورد فيها التوكيد بـ (إنَّ واللام) أيضًا قوله ـ تعالى ـ{إِنَّه لقرآنٌ كَرِيمٌ} وهذه الآية الكريمة مرتبطة بما سبقها؛ لأنَّ هذه الآية مع ما سبقها أسلوب قسم، فقد تقدم فيما سبق فعل القسم والمقسم به، وجاء المقسم عليه في قوله{إِنَّه لقرآنٌ كَرِيمٌ}، ومثل هذا الأسلوب من شأنه أنْ يثيرَ انتباه المخاطب ويجعل ذهنه حاضرًا لاستقبال ما سيأتي بشأن المقسم عليه بهذا القسم العظيم، والضمير في (إنَّه) راجع إلى غير مذكور من الكلام؛ لكونه معلومًا من السياق مُسْتَحْضَرًا في الذهن، والمراد به الكتاب المنَّزَل على محمد ـ ﷺ ـ ،وقد جاء جواب القسم موكَّدًا بـ (إنَّ واللام) ،وما أُكِّدَ الجوابُ بهذه المؤكِّدات إلا لعلة حجاجية.

العلة الحجاجية للتوكيد بـ (إنَّ واللام) في قوله ـ تعالى ـ{إِنَّه لقرآنٌ كَرِيمٌ}:

أُكِّد جواب القسم في الآية الكريمة بـ (إنَّ واللام) لعلة حجاجية تتمثل في: الرد على الأوصاف الباطلة التي نعت بها المشركون القرآن كذبًا وافتراءً حين قالوا تارة: هو قول بشر، وتارة ثانية: هو قول كاهنٍ، وثالثة: إنَّه سحر، أو شعر، أو أساطير الأولين إلى غير ذلك من الأوصاف الباطلة التي نعتوا بها القرآن الكريم في المواضع العديدة من كتاب ـ عزَّ وجلَّ ـ، وقد صار المعنى مع هذه المؤكِّدات: التحقق تحقُّقًا كاملًا أنَّ الكتاب المُنزَّل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرآنٌ كريمٌ.

وما جاء جواب القسم هنا مشتملًا على أكثر من توكيد إلا ليراعي حال المخاطبين المنكرين لكون القرآن الكريم مُنزَّلًا من عند الله.

---

١ . سورة الواقعة: آية: ٧٧

وهنا نكتة لطيفة تتمثل في أنَّ مجيء هذا الأسلوب (أسلوب القسم) مع ما اشتمل عليه من مؤكدات يؤكد ويقرر حقيقة واقعة وهي (أنَّ القرآن الكريم يُكمِّل بعضُه بعضًا وهو وحدة واحدة لا تتجزَّأ)، وليست كلُّ سورة مستقلةً بذاتها؛ وذلك لأنَّنا إذا ما أمعنا النظر في سورة الواقعة نجد أنَّها لم يرد فيها صراحة قولٌ من الأقوال التي تقدح في القرآن الكريم وتصفه وصفًا كاذبًا باطلًا، وإنَّما جاء الرد هنا في سورة الواقعة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على ما اتهموا به القرآن الكريم في المواضع الأُخرى من القرآن.

ـ التوكيد باستخدام (إنَّ واللام) وضمير الفصل وإضافة الشيء إلى مرادفه:

وممَّا ورد من التوكيد بـ (إنَّ واللام) مع غيرهما من المؤكِّدات قوله ـ تعالى ـ {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} [١]، فقد ورد في الآية السابقة التوكيد بأربع مؤكدات وهي (إنَّ واللام)، وضمير الفصل، وإضافة الشيء إلى مرادفه.

وأودُّ القول: إنَّ إضافة الشيء إلى مرادفه محل خلاف بين النحاة فلم يجزها البصريون، وعللوا ذلك بأنَّ الإضافة يراد بها التعريف أو التخصيص، والشيء لا يتعرَّف بنفسه أو يتخصص بها، بينما أجاز الكوفيون إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان [٢].

وقد اختلف المفسرون في المشار إليه في قوله ـ تعالى ـ (هذا) فقيل: هو إشارة إلى ما ورد في السورة كلِّها، وقيل: هو إشارة إلى ما ورد عن الأصناف

١ . سورة الواقعة: آية :٩٥.

٢ . تنظر هذه المسألة في: معاني القرآن للفراء: ٣٣١/١، الأصول: ٨/٢، الإنصاف: ٣٥٦/٢، اللباب: ٣٩٢/١، المقاصد الشافية: ٥٢/٤، شرح الأشموني: ١٤١/٢، التصريح :١/ ٦٨٩.

الثلاثة، وقيل: هو إشارة إلى القرآن الكريم [١]، والراجح أنَّ المشار إليه هو كل ما تقدم ذكره في السورة الكريمة؛ لأنَّ هذا هو الذي عليه أكثر المفسرين [٢].

العلة الحجاجية لاستخدام التوكيد بـ (إنَّ واللام) وضمير الفصل وإضافة الشيء إلى مرادفه في قوله ـ تعالى ـ {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}:

ورد في هذه الآية الكريمة التأكيد بأربع مؤكِّدات ؛ وما جاء التعبير القرآني هكذا إلا لعلة حجاجية ؛ فالآية تشير إلى جميع ما ورد في السورة ـ على الرأي الراجح ـ وقد اشتملت السورة على كثير من الأمور التي ينكرها المشركون ، وقد أقام الله لهم الأدلة العقلية على كذبهم وافترائهم، وأثبت عجزهم حتى عن القيام بشأن مأكلهم ومشربهم ، ومن المفترض بعد ما ورد في السورة من دحض لمزاعمهم أنْ يكون هؤلاء قد اتضحت لهم الصورة وضوحًا كاملًا، وتبيَّن لهم بالأدلة والحجج القاطعة والمُشاهَدة مُشاهَدة مباشرة كذبهم وضلالهم ؛ لذا أكَّد القرآن الكريم لهم بهذه المؤكِّدات أنَّ ما أخبرهم به الله في السورة هو يقين اليقين أو صواب الصواب، بمعنى أنَّه نهاية الصواب، وهذه القول في حد ذاته فيه مبالغة وتأكيد، ومعناه: أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته لا شكَّ في ذلك[٣].

وكون هذه الآية هي التذييل والخاتمة للسورة فيها إراحة للمؤمنين ما بعدها إراحة وتأكيد لهم أنَّهم على الصواب واليقين، كما أنَّ فيها تأكيدًا للمشركين أنَّهم في الآجل أو العاجل لابد لهم من حصول اليقين بصدق ما أخبرهم به الله ـ عزَّ

---

١ . ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤/٢٢٦، مفاتيح الغيب: :٢٩/ ٤٤٠، أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٥/١٨٤.

٢ . ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/١١٨، بحر العلوم: ٣/٣٩٩، الكشاف :٤/٤٧٠، زاد المسير: ٤/٢٣١، الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٢٣٤، مدارك التنزيل وحقائق التأويل :٣/٤٣١، البحر المحيط: ١٠/٩٥، اللباب في علوم الكتاب: ١٨/٤٤٨.

٣ . ينظر: المحرر الوجيز: ٥/٢٥٤،٢٥٥.

وجلَّ ـ، وقد قال قتادة في هذه الآية:" إنَّ الله ليس بتاركٍ أحدًا حتى يَقِفَه على اليقين من هذا القرآن، فأمَّا المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأمَّا الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفع اليقين"[١]

تعقيب:

وبعد عرض هذه الآيات التي ورد فيها التوكيد سواء أكان بـ (إنَّ واللام) فقط، أم مع غيرهما من المؤكِّدات أقول: إنَّ أسلوب التوكيد قد قام بوظيفة حجاجية تمثلت في تقديم مضمون الآيات للمتلقي وفرضت عليه حقيقتها، باعتبارها سمات ومقتضيات غير قابلة للنقاش والمجادلة، بالرغم أنَّها في صميم النقاش والمجادلة الدائرتين بين القرآن وخصومه، وهذا الأمر قد وجَّه الحوار توجيهًا لا يملك المخاطب له ردًّا، ومثل هذه الوظيفة الحجاجية التي أداها أسلوب التوكيد لم يكن أن ينهض لها الأسلوب العاري عن التوكيد[٢]؛وهذا يُؤكِّد أنَّ القرآن الكريم يستخدم في كل مقام ما يناسبه من المقال.

ـ الحجاج باستخدام التوكيد بأسلوب القصر:

القصر هو: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوصة، وأسلوب القصر يشتمل على طريق القصر والمقصور والمقصور عليه، والقصر إما قصر صفة على موصوف، وإما قصر موصوف على صفة [٣].

ويرى الدكتور/صبَّاح عبيد أننَّا لو رتَّبنا أساليب التوكيد وأدواته العديدة ترتيبًا تصاعديًّا حسب قوة التأكيد لكان القصر قمةً وغاية؛ لأنَّه تأكيدٌ على تأكيد؛ لأنَّ جملة القصر تنحل في المعنى إلى جملتين وتُغني عنهما في المعنى العام،

١ . ينظر: جامع البيان:٣٨٢/٢٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٤/١٧، الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٢٢٥/٩.

٢ . ينظر: الحجاج في القرآن الكريم: ٢٩٩.

٣ . ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:١٢،٧/٣، علم المعاني لعبد العزيز عتيق: ١٤٦.

فهو تركيز شديد في الأسلوب، والقصر يتضمن حكمين في وقت وحد؛ لأنَّه إثباتُ الحكم للمذكور ونفيه عن غيره، فإذا قلت: ما جاءني غير زيد فالمعنى: ما جاءني غير زيد، وجاءني زيد، فاختُصر الكلام وجُعِلت الجملتان جملة واحدة [١].

وممَّا لا شك فيه أنَّ القصر يطرأ على الأسلوب بطرقه وأدواته؛ فيحدث فيه خصوصيات ومزايا تتلاءم والحال التي اقتضت طريقًا خاصًا وصياغة معينة [٢].

وقد ورد الحجاج بالتوكيد بأسلوب القصر في صورتين هما: القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بتقديم ما حقه التأخير.

الصورة الأولى: الحِجاج باستخدام التوكيد بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء:

ورد القصر بالنفي والاستثناء في موضعين في سورة الواقعة: الموضع الأول: قوله ـ تعالى ـ{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا}، ففي الآية السابقة نجد أنَّ القرآن الكريم قد قصر المسموع في الجنة على السلام، فالجنة لا يُسمَع فيها لغو ولا تأثيم، وهذا من تمام النعم على أهل الجنة.

العلة الحجاجية لاستخدام أسلوب القصر بالنفي بـ(لا) والاستثناء بـ (إلا) في قوله ـ تعالى ـ {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا}:

جاء أسلوب القصر المشتمل على النفي بـ (لا) والاستثناء بـ(إلا) في الآية الكريمة السابقة لعلة حجاجية تمثلت في توكيد المعنى المراد من الآية ، وإقراره في ذهن المخاطب، وإيصاله إليه بأقصر الطرق؛ فقد أكسب أسلوب القصر الآية الكريمة طاقة حجاجية كبيرة أعطت مزيدًا من الإقناع والإذعان في نفس

١ . ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم:١٠،٢٢،٢٣بتصرف.

٢ . ينظر: السابق: ٢٢.

المخاطب؛ لأنَّ هذا الأسلوب المشتمل على النفي والاستثناء أقوى من الجمل المثبتة ؛وممَّا يدل على هذا أنَّه لو قيل في غير القرآن الكريم :(المسموع في الجنة هو القول بالسلام) لما كان لهذه الجملة المثبتة نفس القدر من الإقناع والتأثير الذي أحدثه أسلوب القصر؛ إذ القصر توكيدٌ مضاعفٌ[١]؛ لأنَّه ليس إلا تأكيدًا بعد تأكيد[٢]، كما أنَّه أغنى عن جملتين إحداهما مثبتة والأخرى منفية[٣]، وهما : لا يسمعون في الجنة لغوًا ولا تأثيمًا، ويسمعون في الجنة القول بالسلام ؛ ولذا فقد كان لهذا الأسلوب دور مهم في تقوية المعنى المراد من الآية وتأكيده تأكيدًا حاسمًا، يقطع شكَّ المتلقي حول وجود اللغو والتأثيم في أحاديث أهل الجنة ،كما يوجد في أحاديث أهل الدنيا، ويوجه الكلام نحو نتيجة واحدة لا غير ألا وهي: أنَّ السلام لا ينقطع عن أهل الجنة في كل أحوالهم؛ ومن ثَّمَّ لا يكونُ أمام المتلقي إلا التسليم بهذه النتيجة وإقرارها ، كما أنَّ أسلوب القصر في الآية الكريمة عمل على التضييق من الغموض وتعدد المعاني والاحتمالات [٤]؛ بما جعله يتناسب مع الغرض من الكلام تناسُبًا تامًا؛ لذا يعد هذا الأسلوب من أقوى الأساليب الحجاجية.

الموضع الثاني: قوله ـ تعالى ـ{لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}[٥]:

ورد في الآية السابقة القصر باستخدام النفي والاستثناء، وقد اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله ـ تعالى ـ {لا يمسه}في الآية السابقة فقيل :إنْ جُعِلت الآية السابقة صفة لـ(كتاب مكنون) فمرجع الضمير إلى اللوح

١ . ينظر: التحرير والتنوير:١٥/ ٣٢٣.

٢ . ينظر: مفتاح العلوم: ٢٩١، التحرير والتنوير:١٥/ ٣٢٣.

٣ . ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم:٢٢.

٤ . ينظر: العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا):٤٤٥ ـ٤٤٧بتصرف.

٥ . سورة الواقعة آية: ٧٩.

المحفوظ، وعلى هذا فالمراد بـ(المُطَهَّرين) الملائكة، وإنْ جُعِلت الآية صفة للقرآن، فالمعنى لا ينبغي لأحدٍ من الناس أن يمس القرآن إلا إذا كان على طهارة ، والمراد مس المكتوب منه[1].

وأميل إلى أنَّ الضمير في قوله ـ تعالى ـ {لا يمسه} يعود للقرآن؛ ويؤيد هذا الآية التالية لهذه الآية وهي قوله . تعالى ـ{تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} فالمعنى ـ والله أعلم ـ:أنَّ هذا الكتاب ـ الذي لا يمسه إلا المطهرون ـ تنزيل من رب العالمين، والذي نُزِّل من رب العالمين هو القرآن الكريم، وليس اللوح المحفوظ.

العلة الحجاجية لاستخدام القصر بالنفي بـ(لا) والاستثناء بـ (إلا) في قوله ـ تعالى ـ{لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}:

جاءت الآية الكريمة السابقة مشتملة على أسلوب القصر المتضمن النفي بـ (لا) والاستثناء بـ(إلا) لعلة حجاجية تمثلت في توكيد المعنى المراد من الآية وهو: أنَّ للقرآن الكريم منزلةً ومكانةً خاصة به، وليس كمثله من الكتب؛ ولذا لا يمسه إلا المُطهَّرون، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا الأسلوب كان هو المناسب في هذا المقام لإيصال هذا المعنى المراد؛ لأنَّه أغنى عن جملتين إحداهما منفية والأُخرى مثبتة وكأن المعنى ـ والله أعلم ـ : لا يمس القرآن الكريم إلا المطهَّرون فقط ، وغير القرآن الكريم من الكتب يمسه المطهرون وغيرهم ، وكان هذا بمثابة تأكيد بعد تأكيد ، ومن ناحية أخرى فأسلوب القصر قد وجَّه المتلقي نحو النتيجة المرجوة وهي أنَّ القرآن الكريم كتابٌ منزَّه عن النقائص ، ومُنَزَّلٌ من عند الله ، وليس سحرًا ،أو شعرًا، أو من كلام الكهان إلى غير ذلك من الأوصاف التي وصف بها الكفار القرآن الكريم ؛ ولذا فلا يمسه إلا المطهَّرون، وهذه النتيجة

١ . ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٤/٤، معاني القرآن للفراء: ١٣٠/٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج :١١٦/٥، بحر العلوم: ٣٩٨/٣، إعراب القرآن للأصبهاني: ٤٢١.

لا يجد المخاطب مفرًّا من التسليم بها وإقرارها، كما أنَّ هذا الأسلوب مع ما قبله وما بعده من الأوصاف التي وُصِف بها القرآن الكريم من شأنهم أنْ يقطعوا أيّ شكٍّ للمخاطب في أنَّ القرآن الكريم ليس منزَّلًا من عند الله، وقد حقق هذا الأسلوب مزيدًا من الإقناع والتأثير في نفس السامع ؛ لأنَّ مَنْ يسمع الآية يتساءل ولمَ لا يمس القرآن الكريم إلا المطهرون ، فيأتي الجواب بأنَّه ليس ككلام البشر ، ولكنه كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ؛ ولذا فهو له من القدسية والتنزيه ما ليس لغيره ؛ ومِنْ ثَمَّ نستطيع القول إنَّ هذا الأسلوب قد وصل للغرض المراد بأقصر الطرق، كما أنَّ أسلوب القصر بالنفي والاستثناء يستأصل ما في نفس المتلقي من أي شبهة أو شك حول المنزلة العظمى للقرآن الكريم ، وأنَّه مُنَزَّلٌ من عند الله.

الصورة الثانية: الحجاج باستخدام التوكيد بالقصر بتقديم ما حقه التأخير:

من أساليب القصر تقديمُ ما حقه التأخير وهو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية [١]، وهو دليل على مرونة العربية وحريتها في تغيير بنية الكلام، والتصرف في الرتب المحفوظة اعتمادًا على قرائن متعددة من أهمها العلامة الإعرابية، وهو أيضًا دليلٌ على دقة التعبير وحسن الأداء، وعلى التمكن في الفصاحة وملكة الكلام، وتظهر أهميته في اعتماد سياقاته على اعتبارات تتصل بالمتكلم والمتلقي، وهو يورد المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين مرتبةً حسب أهميتها عند المتكلم [٢].

وقد نزل القرآن الكريم على عادة العرب في مخاطبتهم وكلامهم، وهم حين يقدِّمون إنَّما يقدِّمون ما هو عندهم أولى وأهم من غيره لعظمه والاهتمام به[٣].

١ . ينظر: دلائل الإعجاز: ١٠٦.

٢ . ينظر: دلالة التقديم والتأخير في الجملة الاسمية: ٢٩٥.

٣ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣.

وفي هذا يقول سيبويه: "كأنّهم إنَّما يقدِّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى[1]".

والتقديم من وجهة نظر النحويين قد يكون لسبب مُوجِب، وقد يقدم الشيء على غيره جوازًا، ولكن الأمر لا يخلو من غرض لهذا التقديم بغض النظر عن الناحية النحوية، وإنَّما لأمرٍ له علاقة بالسياق وحال المتكلم والمتلقي. وقد ورد في سورة الواقعة تقديم ما حقه التأخير في قوله ـ تعالى ـ{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}[2]:

ففي هذه الآية الكريمة السابقة قُدِّم خبر(ليس) وهو قوله(لوقعتها) على اسمها وجوبًا؛ لأنَّ اسمها نكرة وخبرها شبه جملة، وهذا موضع من مواضع وجوب تقديم الخبر على الاسم[3]، ولكن مع كون التقديم هنا لسبب موجب إلا أنَّ هذا التقديم قد تضمن أغراضًا أخرى جعلت من تقديمه أسلوبًا حجاجيًّا يخدم الغرض المراد من الآيات، وفي ذات الوقت يتناسب مع السياق؛ حتى ليظن مَنْ لا معرفة له بقواعد النحو أنَّ التقديم هنا إنَّما جاء لهذه الأغراض، وليس لسبب نحوي يوجب تقديمه.

العلة الحجاجية لاستخدام أسلوب القصر بتقديم ما حقه التأخير في قوله ـ تعالى ـ {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}:

١ . الكتاب: ٣٤/١.

٢ . سورة الواقعة: آية: ٢.

٣ . ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب:١٤٥/١، شرح الكافية الشافية: ٣٦٤/١، توضيح المقاصد والمسالك: ٤٨٤/١، أوضح المسالك: ٢١٠/١.

قد يقدم خبر المبتدأ لعلة حجاجية وهي إفادة التنبيه وتأكيد الخبر وتحقيقه[١]،كما أنَّ التقديم قد يكون لعلة وجود ما يقتضي تقديمه في سياق الكلام السابق[٢]،وقد تحققت هاتان العلتان في هذه الآية ، فالتقديم هنا قد جاء لعلة حجاجية اقتضاها المقام وسياق الآيات؛ إذ قد سبق في الآية المتقدمة على هذه الآية وهي قوله تعالى{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}ما يقتضي تقديم قوله ـ تعالى ـ {لوقعتها}؛ وذلك لأنَّ الآية السابقة على هذه الآية تتحدث عن أمر وقوع الساعة؛ لذا كان المناسب هنا للسياق تقديم قوله(لوقعتها)، وقد أفاد التقديم أيضًا تأكيد أمر وقوع الساعة وتحقيقه؛ لذا لم يكن نفي التكذيب هو الأهم والأولى بالتقديم، كما أنَّ التقديم هنا قد أفاد أيضًا تخصيص وقوع الواقعة بنفي التكذيب عنها، وفي هذا مراعاة لحال المتلقي المنكر.

ومثل هذه العلل الحجاجية من شأنها أنْ تؤدي إلى إقناع المنكرين بالقضية التي تعرض لها الآيات، وهي أمر وقوع الواقعة، التي أكدها القرآن الكريم بمزيد من المؤكِّدات التي دلت على تحقُّق وقوعها لا محالة، وأدت الغرض المراد من الآيات.

١ . ينظر: دلائل الإعجاز: ١٣١.

٢ . ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٦٢/٣.

المطلب الرابع: الحجاج باستخدام أسلوب النفي:

النفي من الأساليب اللغوية التي تستخدم للحجاج ومعناه: الرد، ومنه: نفيتُ الشيء إذا رددتُه [١]، والنفي نقيض الإثبات، وللنفي عدة أدوات منها:(ليس، ما، لا، لنْ، لم، لمَّا، إنْ، لات).

وما يعنينا الآن من هذه الأدوات هو (ليس) و(لا) النافية؛ إذ ما ورد في السورة الكريمة من أسلوب النفي كان بهما.

والنفيُ أسلوب لغوي يستخدمه المتكلم لدحض أفكار ومعتقدات الخصم وإنكارها باستخدام أدوات النفي، ويُعدُّ النفيُ تلفظًا على تلفظ، أيّ: توجيه على توجيه؛ ولذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة بسرعة، ولا يجد المخاطب حرجًا أو كدَّ ذهنٍ في إدراك المطلوب [٢].

وقد ورد في سورة الواقعة أسلوب النفي بـ(ليس)، وبـ(لا) النافية في عدة مواضع، وقد اُسْتُعمل النفي عاملًا حجاجيًّا لأكثر من وظيفة وعلة حجاجية فقد جاء للتوكيد، وجاء أيضًا لإقناع المتلقي بقضية ما.

أولا: الحجاج باستخدام أسلوب النفي بـ(ليس):

لـ (ليس) عدة استعمالات: فقد تكون من أخوات(كان) فترفع الاسم وتنصب الخبر، نحو:(ليس زيدٌ قائمًا)، وقد تكون من أدوات الاستثناء ويجب نصب المستثنى بها، نحو: (قام القومُ ليس زيدًا)، وقد تكون حرفًا عاطفًا، على مذهب الكوفيين بمنزلة (لا)، نحو: (جاءني زيد ليس عمرو)، وقد تكون مهملة، لا عمل لها، وذلك في نحو:(ليس الطيبُ إلا المسكُ) [٣].

---

١ ينظر: تهذيب اللغة: ٣٤١/١٥.

٢ . ينظر: العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا):٤٢٥،٤٢٦.

٣ . ينظر: الجنى الداني: ٤٩٥ـ ٤٩٨، مصابيح المغاني:٣٩١ ـ ٣٩٣.

دلالة الزمان الذي تنفيه(ليس):

ذهب أكثر النحويين إلى أنَّ(ليس)لنفي الحال [١].

وذهب الزجاجي إلى أنَّها لنفي الحال والمستقبل [٢].

وذكر ابن مالك أنَّ الصحيح أنَّها تنفي ما في الحال، وما في الماضي، وما في الاستقبال، ونقل ابن مالك عن الشلوبين أنَّ مراد القائلين: " ليس لنفي الحال": أنَّ الخبر إذا لم يكن مخصوصًا بزمان دون زمان، ونُفِي بـ(ليس)، فإنَّه يُحملُ نفيُها على الحال، كما يحمل الإيجاب عليه أيضًا، فإن اقترن الخبر بالزمان أو ما يدل عليه، فهو بحسب المقترن به، موجبًا كان، أو منفيًا بـ (ليس)[٣].

وقد حكى سيبويه قولهم: " ليس خلقَ اللهُ مثلَه"[٤].

وهذا يعني أنَّ سيبويه استعمل(ليس) للنفي في الماضي [٥].

وقد ورد في سورة الواقعة الحجاج باستخدام النفي بـ (ليس) في قوله ـ تعالى ـ {لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ}:

وقبل الحديث عن الوظيفة الحجاجية التي أداها النفي بـ (ليس) في الآية الكريمة لا بُدَّ لنا من التعرف إلى معنى هذه الآية الكريمة؛ لأنَّ معرفة ما نفته (ليس) يتوقف على فهم المعنى المراد من هذه الآية.

---

١ . ينظر: المسائل الحلبيات: ٢٢٢، شرح المفصل: ١١٢/٧، شرح كافية ابن الحاجب للرضي: ١٩٧/٤، شرح تسهيل الفوائد لابن مالك: ٣٨٠/١، شرح ألفية ابن معط: ٢/ ٨٨٤، الجنى الداني: ٤٩٩، مصابيح المغاني: ٣٩١.

٢ . ينظر: حروف المعاني والصفات:٨.

٣ . ينظر: شرح التسهيل لابن مالك :١/ ٣٨٠.

٤ . ينظر: الكتاب: ١/ ٧٠.

٥ . ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤/ ١٩٧.

وأقول: ترتب على اختلاف المفسرين في حقيقة كلمة (كاذبة)، ومعنى اللام في قوله ـ تعالى ـ {لِوَقْعَتِها}اختلافهم في تفسير المعنى المراد من الآية على عدة أوجه:

الوجه الأول: وهو ما ذكره الزجاج من أنَّ (كاذبة) مصدرٌ كالعاقبة، **والمعنى**: ليس لها كذبٌ ولا ردٌّ [١].

الوجه الثاني: أن تكون (كاذبة) صفة لمحذوف كأنه قال: ليس لها حال كاذبة، أي: هي صادقة الوقوع ولا بُدَّ [٢].

الوجه الثالث: وهو ما ذكره الزمخشري من أنَّ (كاذبة) صفةٌ لمحذوف **والتقدير**: لا تكونُ حينَ تقع نفسٌ تُكَذِّبُ على الله، وتُكَذِّبُ في تكذيب الغيب؛ لأنّ كلَّ نفسٍ حينئذ مؤمنةٌ صادقةٌ مُصَدِّقةٌ، وأكثر النفوس اليوم كواذب مُكَذِّبات [٣].

واختلف المفسرون أيضًا في معنى اللام في قوله ـ تعالى ـ {لِوَقْعَتِها}فقيل: اللامُ في(لِوَقْعَتِها) للظرفية بمعنى (في)[٤]، كما هو الحال في قولِه ـ تعالى ـ {قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [٥].

وذكر الرازي أنَّ اللام تحتمل وجهين: الأول: أنْ تكون للتعليل، أي: لا تُكَذِّب نفسٌ في ذلك اليوم لشدة وقعتها، والثاني: أنَّها للتعدية، وذلك كقولهم:(ليس لزيدٍ ضاربٌ) [٦].

---

١ ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٠٧/٥.

٢ ـ ينظر: المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥، التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٣٣/٢، البحر المحيط :١٠/ ٧٧.

٣ ـ ينظر: الكشاف: ٤٥٥/٤.

٤ ـ ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/ ٤١٩، البحر المحيط: ٧٦/١٠، الجنى الداني: / ٩٩، الدر المصون:١٠/ ١٩١، المغني :٢٣٨/١، أضواء البيان:٧/ ٨١٤.

٥ ـ سورة الفجر من الآية: ٢٤.

٦ ـ ينظر: مفاتيح الغيب :٢٩/ ٣٨٥.

وبناء على ما سبق أقول: إنَّني لا أؤيد القول بأنَّ اللام للتعليل أو التعدية، وأمَّا عن القول بأنها بمعنى (في)للظرفية فأرى أنَّ هذا القول إنَّما يصح إذا كانت هذه الآية حكاية لحال وقوعها، قبل وقوعها بالفعل في الآخرة، والأرجح على القول بأنَّ اللام بمعنى(في) كون(كاذبة) مصدرًا، والمعنى ـ والله أعلم ـ: ليس في وقوعها كَذِبٌ.

والأولى عندي بالقبول ـ توافقًا مع السياق ـ كون اللام للتوقيت بمعنى (عند)؛ وأؤيد أيضًا أنَّ (كاذبة) صفة لمحذوف تقديره : نفس كاذبة؛ وذلك لأنَّ هذه الآية الكريمة والآية السابقة عليها تصويرٌ للموقف يوم القيامة ،ومعناهما ـ والله أعلم ـ : إذا وقعت التي لابُدَّ من وقوعها في الآخرة فليس عند وقوعها نفسٌ تكذب بها، فقوله ـ تعالى ـ {لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ}إنَّما هو وصف للحال الحاصل يوم القيامة، ولبيان أنَّ مَنْ كان يُكَذِّبُ بوقوعها في الدنيا فلن يستطيع ذلك عند وقوعها في الآخرة؛ لأنَّها قد وقعت بالفعل.

الوظيفة الحجاجية لاستخدام النفي بـ(ليس) في قوله ـ تعالى ـ{لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ}:

أدت (ليس) في الآية الكريمة وظيفة حجاجية بالإضافة إلى وظيفتها النحوية المتمثلة في نفي المعنى مع رفع الاسم ونصب الخبر، وقد جاء قوله ـ تعالى ـ {لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ}جملة معترضة بين أداتي الشرط (إذا) الأولى والثانية، والاعتراض بهذه الآية الكريمة قد جاء أسلوبًا حجاجيًّا لتأكيد ما ذُكِر في الآية السابقة على هذه الآية من أمر وقوع الساعة، كأنَّه ـ تبارك وتعالى ـ يقول: إذا وقعت التي لابُدَّ من وقوعها فليس عند وقوعها نفس تكذب بها؛ لأنَّها أصبحت خبرًا صادقًا، وحقًّا لا ريب فيه؛ لوقوعها بالفعل، وأيضًا فالعامل الحجاجي (ليس) لما تقدم في بداية الآية أكسبها قوة تأثيرية وإقناعية أوقع من أسلوب الإثبات؛ لأنَّه قد وجَّه المتلقي مباشرة إلى النتيجة المرجوة والمتمثلة في أنَّه ليس عند وقوع

الواقعة نفس تُكذِّب بها؛ لكون الأمرُ أصبح حاصلًا مرأى العين؛ لذا فمن الإنصاف الإيمان والإذعان بوقوعها من الآن.

ويمكننا القول إنَّ القرآن الكريم قد أكد أمر وقوع الساعة بأربع مؤكدات وهي: (إذا)، والفعل الماضي (وقع)، ولفظ (الواقعة)، والجملة المعترضة وهي قوله ـ تعالى ـ {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}، فجميعها تؤكد أمر وقوع الساعة، وأنَّها كائنةٌ وحاصلةٌ لا محالةَ.

وسر النفي بـ(ليس) في هذه الآية دون غيرها من أدوات النفي: أنَّ في لفظ (ليس) قوة في النفي لكونها فعلًا، وفي الفعل من القوة ما ليس في غيره، وهذا ما جعلها تتناسب مع المقام والسياق، فالمقام هنا هو الحديث عن وقوع الواقعة وفيه من القوة والشدة ما فيه، ومن ناحية أخرى فـ(ليس) قد تكون للنفي في المستقبل؛ لذا ناسب النفي بها السياق؛ لأنَّه يتحدث عن أمر مستقبلي، ومن المعروف أنَّ القرآن الكريم لا يأتي بلفظة في أيّ موضعٍ إلا لكونها تؤدي في هذا الموضع ما لا يؤديه غيرها.

ثانيًا: الحجاج باستخدام النفي بـ (لا) النافية:

(لا) حرف، وقد تكون عاملة وغير عاملة، ولها عدة أقسام: فقد تكون نافية، وناهية، وزائدة [1].

وما يعنينا في هذا البحث من أقسام (لا) هو (لا) النافية الزائدة: وهي التي يصل عمل ما قبلها لما بعدها، إلا أنَّه لا يجوز إخراجها من الكلام لئلا يصير النفي إثباتًا والمعنى على النفي [2]، كما هو الحال في قوله ـ تعالى ـ{زَيْتُونَةٍ لَا

١ . ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٢٦٤ـ ٢٧٢، الجنى الداني:٢٩٠ ـ ٣٠٣.

٢ . ينظر: رصف المباني:٣٤٢.

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ}[١]، ولوصول عمل ما قبلها لما بعدها سمَّاها المرادي بالزائدة من جهة اللفظ؛ لأنَّها من جهة المعنى ليست زائدة؛ لأنَّها تفيد النفي[٢].

وتزاد (لا) في عدة مواضع، وما يعنينا في هذا المقام هو زيادتها بين النعت والمنعوت، وقد ذكر المالقي أنَّ (لا) إذا زيدت بين النعت والمنعوت تكون في هذه الحالة بمعنى(غير)[٣].

ويجب تكرار (لا) إذا زيدت بين النعت والمنعوت [٤].

وقد ورد في سورة الواقعة الحجاج باستخدام النفي بـ(لا) النافية في عدة مواضع، منها:

ـ قوله ـ تعالى ـ {وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَلا يُنْزِفُونَ} [٥].

ـ قوله ـ تعالى ـ {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [٦].

ـ قوله ـ تعالى ـ {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [٧].

ففي الموضع الأول: تحدثت الآيتان الكريمتان عن صنف من أصناف النعيم الموجود في الجنة وهو (الخمر) التي وصفها القرآن الكريم بوصفين جاءا في صورة فعلين مضارعين منفيين بـ (لا) النافية، الوصف الأول هو: أنَّه لا يلحقهم صداع من شربها مثل ما يصيب شارب الخمر في الدنيا، وقيل المراد:

١ . سورة النور من الآية :٣٥.

٢ . ينظر: الجنى الداني: ٣٠٠.

٣ . ينظر: رصف المباني: ٣٤١.

٤ . ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٢٧١، الجنى الداني: ٢٩٩، مصابيح المغاني :٤٣٨.

٥ . سورة الواقعة: جزء من الآية :١٨ وآية :١٩.

٦ . سورة الواقعة: آية :٣٣،٣٢.

٧ . سورة الواقعة: آية: ٤٤،٤٣.

لا يفرَّقون عنها، والوصف الثاني: أنَّها لا تُذهِب عقولهم، وقيل المراد: لا تتغير ألوانهم، وقيل: لا يقيئون مثل ما يقئ شارب الخمر في الدنيا [١].

و(لا) مع الفعل الأول وهو قوله ـ تعالى ـ {لا يُصَدَّعُونَ} هي النافية الزائدة من جهة اللفظ، ولكنها من جهة المعنى ليست زائدة لأنَّها تفيد النفي، و(لا)مع الفعل الثاني وهو قوله ـ تعالى ـ {وَلا يُنْزِفُونَ} زائدة لتوكيد النفي، وقد عُطِف قبل (لا) الثانية بحرف العطف(الواو) الذي أفاد أنَّ ما قبلها وما بعدها مشتركان في النفي.

وفي الموضع الثاني: تحدثت الآيتان الكريمتان أيضًا عن صنف من أصناف النعيم في الجنة وهو فاكهة الجنة [٢]، وقد وصف القرآن الكريم هذه الفاكهة بوصفين منفيين بـ (لا) النافية الزائدة: الوصف الأول: وهو قوله ـ تعالى ـ {لا مقطوعة} أي: أنَّها لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة، وجاز أنْ يُفرَّق بين النعت والمنعوت بـ (لا)لكثرة تصرفها، وأنَّها تقع زائدة [٣].

والوصف الثاني: قوله ـ تعالى ـ{ولا ممنوعة}أي: أنَّها لا تُمنَع عن مُتَناولِها بوجه [٤].

و(لا) مع الوصف الأول هي النافية الزائدة من جهة اللفظ، و(لا)مع الوصف الثاني زائدة لتوكيد النفي.

وقد عُطِف قبل (لا) الثانية بحرف العطف الواو الذي أفاد أنَّ ما قبلها وما بعدها مشتركان في النفي.

---

١ . ينظر: بحر العلوم: ٣٩٢/٣، تفسير السمعاني: ٣٤٧/٥، الكشاف: ٤٦٠/٤، تفسير النسفي: ٤٢١/٣.

٢ . ينظر: بحر العلوم: ٣٩٣/٣.

٣ . ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٢١/٤.

٤ . ينظر: بحر العلوم: ٣٩٣/٣، الكشاف: ٤١٦/٤، تفسير النسفي: ٤٢٣/٣، زاد المسير في في علم التفسير: ٢٢٣/٤، التحرير والتنوير: ٣٠٠/٢٧.

ولكون (لا)قد زيدت بين النعت والمنعوت وجب تكرارها [١].

وقد نقل العكبري عن البعض أنَّ(لا)عاطفة؛ وقوله ـ تعالى ـ{مقطوعة} معطوفة على ما قبلها [٢].

ولا أؤيد هذا القول الذي نقله العكبري؛ لأنَّ معنى العطف بـ (لا) النافية لا يتأتى في هذه الآية؛ إذ ليس المراد في الآية الكريمة أن يثبت لما قبل (لا) ما انتفى عمَّا بعدها، كما هو الحال في قولهم: جاء زيدٌ لا محمدٌ، و(اضرب زيدًا لا عليًا)، على حين نجد في الآية الكريمة الوصف المنفي بـ (لا) وهو قوله (لا مقطوعة) ثابتًا لما قبل (لا) وهو كلمة (فاكهة)، كما أنَّ الوصف المثبت الذي قبل (لا) ثابتٌ لها أيضًا وهو قوله (كثيرة)، وليس المرادُ في الآية إثباتَ أحدِ الأمرين لكلمة(فاكهة) ونفي الآخر عنها.

وأودُّ الإشارة إلى أنَّه بمراعاة ما ذكره المالقي من أنَّ (لا) النافية التي تزاد بين النعت والمنعوت تكون بمعنى (غير) يجوز أنَّ تكون (لا) في الآية الكريمة بمعنى (غير)، ويكون المعنى ـ والله أعلم ـ: وفاكهة كثيرة غير مقطوعة وغير ممنوعة، وقد وجدنا من المفسرين والنحاة من جعل(لا) في الآية بمعنى (غير) مؤيدين بذلك ما ذكره المالقي [٣].

العلة الحجاجية لاستخدام النفي بـ(لا) في قوله ـ تعالى ـ{وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ}، وقوله ـــ تعالى ـــ :{وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ}:

١ . ينظر: مغني اللبيب:١/ ٢٧١، الجنى الداني: ٢٩٩، مصابيح المغاني :٤٣٨.

٢ . ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٢٠٤.

٣ . ينظر: البرهان في علوم القرآن:٤/٣٦١، الإتقان في علوم القرآن:٢/٢٧٢.

بإمعان النظر في الآيات السابقة نجد أنَّ الغرض المراد منها هو إثبات أنَّ نعيم الجنة ليس كنعيم الدنيا بحال من الأحوال، وقد كان من الممكن إيصال هذا الغرض للمتلقي عن طريق الجمل المثبتة، ولكن القرآن الكريم عبَّر عن هذا المعنى مستخدمًا أسلوب النفي بـ(لا) النافية الزائدة؛ لعلة حجاجية تمثلت في كون أسلوب النفي هو المناسب في هذا المقام ؛ لأنَّه يحقق الغرض المراد بأقصر الطرق؛ لقدرته على توجيه المتلقي وإقناعه بالغرض المرجو من الآيات؛ ولذا نجد القرآن الكريم قد قدَّم حجته منفية بالعامل الحجاجي(لا) النافية الذي أكسب الملفوظ طاقة تأثيرية وإقناعية بالغة الأثر في نفس المتلقي، ومن ثَمَّ قام هذا العامل الحجاجي بتوجيه المخاطب للتسليم بالنتيجة المقصودة وإقرارها، ومفاد هذه النتيجة في قوله ـ تعالى ـ{وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَلا يُنْزِفُونَ} : أنّ خمر الآخرة ينتفي عنها جميع العيوب الموجودة في خمر الدنيا، وقد نفى القرآن الكريم عن خمر الآخرة جميع عيوب الخمر بالوصفين المذكورين في هاتين الآيتين [1].

وأمَّا عن النتيجة المرجوة في قوله ـ تعالى ـ: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} فهي: أنَّ فاكهة الجنة ينتفي عنها جميع العيوب الموجودة في فاكهة الدنيا، وقد نفي الوصفان المذكوران في هاتين الآيتين جميع الآفات والعيوب عن فاكهة الجنة [2].

وما كان لأسلوب الإثبات أنْ يعبر عن هذا المعنى بنفس الدرجة التي أحدثها أسلوب النفي في نفس المتلقي؛ إذ إنَّه بمجرد إدخال عامل النفي في الآية الكريمة تحددت النتيجة بسرعة، ولم يجدْ المخاطبُ حرجًا أو كدَّ ذهنٍ في الوصول للنتيجة المرجوة، وإنَّما كان أسلوب النفي أوقع في التأثير والإقناع في نفس المتلقي من الإثبات؛ لأنَّه بمنزلة وصف وتوكيده.

١ . ينظر: تأويل مشكل القرآن:١٣، البرهان في علوم القرآن: ٢٢٦/٣.

٢ . ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني:٢٦.

ونجد أيضًا أنَّ تكرير أداة النفي في الموضع الأول والثاني قد أدى لتوكيد النفي، كما أدى إلى الزيادة في حدة الإذعان والإقناع، وبذلك يكون أسلوب النفي قد برع في لفت الانتباه إلى نعيم الجنة والتأكيد على مغايرته لنعيم الدنيا، وهذا الأمر قد جعله يتناسب مع الغرض من الآيات تناسُبًا تامًا.

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ (لا) النافية مع قوله ـ تعالى ـ {لا يُصَدَّعُونَ}، وقوله {لَا مَقْطُوعَةٍ} استخدمها القرآن أسلوبًا حجاجيًّا جِيء به لتحقيق الغرض المراد إثباته، بينما جاءت مع قوله ـ تعالى ـ {وَلا يُنْزِفُونَ}، وقوله {وَلَا مَمْنُوعَةٍ} أسلوبًا حجاجيًّا جاء لتوكيد النفي السابق.

وبذلك يكون العامل الحجاجي(لا) النافية قد جاء لأكثر من علة ووظيفة حجاجية.

ـ الموضع الثالث: قوله ـ تعالى ـ{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}

تتحدث الآيتان السابقتان عن صنف من أصناف العذاب الموجود في جهنم وهو الظل الذي يستظلون به، وقد وُصِف هذا الظل بعدة أوصاف:

الوصف الأول أنَّه (من يحموم) أي: من دخان أسود شديد السواد، وقيل: (اليحموم) وادٍ في جهنم. وقيل: هو اسمٌ من أسمائها، والأولُ أظهر [١]، والوصف الثاني وهو قوله (لا بارد) فقد وُصِف الظل بأنَّه ينتفي عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر[٢]، والوصف الثالث وهو قوله (ولا كريم) فقد وُصِف أيضًا بأنَّه مؤلمٌ لمَن استظل به، أو المراد أنَّه ليس بحسن المنظر ولا خير فيه؛ فليس فيه ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه [٣]، وقد ذكر الفراء أنَّ العرب تجعل (الكريم) تابعًا لكل شيءٍ نفت عنه فعلًا تنوي به

١ . ينظر: البحر المحيط: ١٠/ ٨٥، الدر المصون: ٢٠٨/١٠.

٢ . ينظر: الكشاف: ٤٦٣/٤.

٣. ينظر: جامع البيان :١٣٠/٢٣، الجامع لأحكام القرآن:٢١٣/١٧، البحر المحيط:٨٥/١٠.

الذم، يُقال: أ سمينٌ هذا؟ فتقول: ما هو بسمينٍ ولا كريمٍ، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة [١].

ومن المفسرين والنحاة من جعل (لا) في الآية السابقة بمعنى (غير)[٢].

العلة الحجاجية لاستخدام (لا) النافية في قوله ـ تعالى ـ{وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ}:

استخدم القرآن الكريم أسلوب النفي في الآية السابقة لعلة حجاجية تمثلت في أنَّ لأسلوب النفي قدرة فائقة على الوصول للغرض المرجو من الآية ؛ لما له من طاقة حجاجية ليست في أسلوب الإثبات؛ إذ إنَّه بمجرد إدخال عامل النفي في الآية الكريمة تحددت النتيجة المقصودة بسرعة ولم يجد المتلقي مشقةً في الوصول إليها، من خلال توجيهه بأسلوب النفي إلى الإذعان والتسليم بالغرض المراد من الآية، وهو أنَّ الظل الموجود في جهنم ينتفي عنه انتفاءً تامًا كل أوصاف الظل الموجود في الدنيا ، وما كان لأسلوب الإثبات أنْ يحدث في نفس المتلقي ما أحدثه أسلوب النفي الذي كان أوقع في التأثير والإقناع ؛ ولذا قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية :" أنّ للنفي في نحو هذا شأنًا ليس للإثبات"[٣].

ونجد أيضًا أنَّ تكرير أداة النفي قد أدى أيضًا لتوكيد النفي، وهذا ما جعله يتناسب مع الغرض من الآيات تناسبًا تامًا.

وقد استخدمت(لا) النافية مع الوصف الثاني (لا بارد) أسلوبًا حجاجيًّا جِيء به لتحقيق الغرض المراد إثباته بأقصر الطرق، بينما جاءت مع الوصف الثالث (ولا كريم) لتوكيد النفي السابق مع الوصف الثاني.

---

١ . ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٢٧/٣.

٢ . ينظر: الأزهية في علم الحروف:١٦٠، رصف المباني: ٣٤١، البرهان في علوم القرآن: ٣٦١/٤، مصابيح المغاني: ٤٣٨، الإتقان في علوم القرآن:٢٧٢/٢.

٣ . الكشاف: ٤٦٣/٤.

المطلب الخامس: الحِجاج باستخدام أسلوب النعت:

من أساليب الحجاج النحويّة التي وردت بكثرة في سورة الواقعة أسلوب النعت، ويعني في اصطلاح النحاة: التابع المكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته نحو:(مررت برجلٍ كريمٍ)، أو من صفات ما تعلق به نحو:(مررت برجلٍ كريمٍ أبوه) [١].

والنعت قسمان حقيقي وسببي، وما ورد في سورة الواقعة من نعتٍ كان من النعت الحقيقي، وقد كان الغرض منه في غالب الأمر المدح أو الذم، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ نعت الأشياء بصفات تفيد المدح أو الذم يؤثر بشكل كبير في المتلقي.

وقد كان لأسلوب النعت الوارد في سورة الواقعة دور كبير في تصوير وتجسيد أحداث القيامة ونعيم الجنة وعذاب النار، وقد وصفت السورة هذه الأمور بشكلٍ دقيق، حتى صار المستمع للسورة وكأنه يرى هذه الأحداث، ويرى أيضًا النعيم أو العذاب من دقة الوصف؛ لذا يمكننا القول إنَّ أسلوب النعت كان من أهم الأساليب النحويَّة التي وظَّفها القرآن الكريم توظيفًا حجاجيًّا.

ومن المواضع التي ورد فيها أسلوب النعت في السورة الكريمة:

ـ قوله ـ تعالى ـ {فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} [٢]، فقوله (منبثًّا) نعت لقوله(هباء)[٣].

الوظيفة الحجاجية لاستخدام النعت في قوله ـ تعالى ـ{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا}:

جاء النعت في الآية السابقة لوظيفة حجاجيَّة تمثلت في أنَّ النعت هنا قد أفاد توكيد معنى أنَّ الجبال لا يبقى منها شيءٌ وتصير سرابًا؛ إذ كون الجبال

١ ـ ينظر: شرح الكافية الشافية: ١١٥٤/٣، توضيح المقاصد: ٩٤٧/٢، أوضح المسالك :٣/ ٢٧٠، شرح ابن عقيل: ٣/ ١٩١.

٢ ـ سورة الواقعة: ٦.

٣ ـ ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢١٦/٤، إعراب القرآن وبيانه: ٤٢٥/٩.

صارت هباء أي: صارت ترابًا يستلزم أنَّها لا يبقى منها شيء؛ لأنَّ التراب بطبيعته لا يبقى في مكانه وينتشر ويتفرق؛ ومن ثَمَّ تصير الجبال سرابًا، وعلى هذا فالنعت هنا لم يفد معنى جديدًا، ولكنه جاء ليؤكد لازم معنى المنعوت(ما وراء لفظ المنعوت)، وقد أعطى النعت هنا للآية الكريمة طاقة حجاجية، وكأن النعت هنا قد تلاحم مع المنعوت في توكيد المعنى الذي يصور المرحلة الأخيرة من مراحل زوال الجبال، وهي مرحلة صيرورة الجبال إلى اللاشيء (السراب)، وهذا المعنى الذي ذُكِر في قوله ـ تعالى ـ {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا}[١].

والعلاقة الحجاجية هنا بين النعت والمنعوت هي علاقة التتابع والاقتضاء؛ إذ كون الجبال تصير ترابًا يتبعه ويقتضي كون التراب منبثًا؛ لأنَّ من الثابت أنَّ الغبار لا يستقر في مكانه.

ومن مواضع النعت أيضًا في السورة الكريمة ما ذُكِر حينما بدأت السورة الكريمة في الحديث عن نعيم الجنة وعذاب النار، فقد حوت السورة الكريمة مجموعة من النعوت صورت نعيم الجنة وعذاب النار تصويرًا حسيًا ومنها:

ـ قوله ـ تعالى ـ {وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [٢]

ـ وقوله ـ تعالى ـ {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} [٣]

ـ وقوله ـ تعالى ـ {وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ} [٤]

ـ وقوله ـ تعالى ـ {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [٥]

ـ وقوله ـ تعالى ـ {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [٦]

---

١ ـ سورة النبأ آية :٢٠.

٢ ـ سورة الواقعة آية: ٢٢،٢٣.

٣ ـ سورة الواقعة آية: ٢٨.

٤ ـ سورة الواقعة آية: ٢٩.

٥ ـ سورة الواقعة آية: ٣٠.

٦ ـ سورة الواقعة آية: ٣١.

ـ وقوله ـ تعالى ـ {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ}

ـ وقوله ـ تعالى ـ {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} [١]

ـ وقوله ـ تعالى ـ {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} [٢]

فقد حوت الآيات السابقة نعوتًا صورت نعيم الجنة وعذاب النار تصويرًا حسيًا، وقد أدى أسلوب النعت في الآيات السابقة وظيفة حجاجية تمثلت في أنَّ ذِكْر هذه الأوصاف بهذه الدقة قد دل على وجود الجنة والنار بطريقة غير مباشرة، أو من خلال ما يُسمى بالدلالة على الشيء من خلال لازم اللفظ أي: ما وراء اللفظ، فالمشركون منكرون لوجود الجنة (النعيم)، والنار(العذاب) ،ومع ذلك نجد القرآن الكريم لم يشرع في إثبات وجودهما وإقامة الأدلة على ذلك ، ولكنه شرع في بيان أوصافهما ، وكأن القرآن جعل إنكار الكفار لوجود الجنة والنار كلا إنكار؛ ولذا شرع في بيان بعض أوصافهما ، وقد استخدم القرآن الكريم في هذا المقام أسلوب الإدماج: وهو أنْ يُضمَّنَ كلامٌ قد سيق لمعنى معنى آخَرَ لم يصرح به[٣] ، فقد تضمنت هذه النعوت في الظاهر وصف نعيم الجنة وعذاب النار ، ولكنها دلت في ذات الوقت على أمرٍ آخَرَ لم يصرح به، وهو وجود الجنة والنار بالفعل بدليل ذكر بعض أوصافهما بهذه الدقة.

ومن ناحية أخرى فهذا التصوير الحسي لنعيم الجنة يلامس مشاعر الرجاء والترغيب في النفس، ويحركها، ويُثيرها، لتقوى في هذا الاتجاه كلما تأملت هذا النعيم الذي ينتظر أهل الجنة، وفي المقابل فالتصوير الحسي لعذاب النار

١ ـ سورة الواقعة آية: ٣٤.

٢ ـ سورة الواقعة آية: ٤٣.

٣ ـ ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٣٠٥.

يلامس مشاعر الخوف والترهيب في النفس ويحركها ويُثيرها لتبتعد عن هذا العذاب الذي ينتظر أهل النار[١].

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنَّ وصف الظلِّ بقوله (مِنْ يَحْمُومٍ) يؤكد أيضًا مدى فظاعة العذاب الذي ينتظر هؤلاء؛ لأنَّه إذا كان الظل الذي ينبغي أنْ يكون فيه الإراحة هو في ذاته عذاب، فما بالكم بأصناف العذاب الذي يُعرف عنها أنَّها عذاب كيف تكون ؟!!

ومن المواضع التي ورد فيها أيضًا أسلوب النعت في السورة الكريمة:

ـ قوله . تعالى . {وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}[٢]،فكلمة (العظيم) في الآية السابقة نعت لكلمة (الحنث)،وقد قيل إنَّ المراد بـ(الحنث) في الآية الكريمة الشرك أو إنكار البعث بعد الموت على خلاف المفسرين في ذلك[٣]، ولفظ المنعوت في ذاته يدل على أمر مستقبح، وقد أعطى النعت المعنى طاقة حجاجية، وتكاتف مع المنعوت للدلالة على مدى بشاعة وفظاعة هذا الأمر، وأنَّه ليس بالأمر الهين، لعل هؤلاء يثوبون إلى رشدهم، ويرجعون عن هذا الإصرار. ومن المواضع التي ورد فيها أيضًا أسلوب النعت في السورة الكريمة:

ـ قوله ـ تعالى ـ{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى}[٤] فلفظ(الأولى) في الآية نعتٌ لكلمة (النشأة)، وإذا ما تأملنا دقة التعبير القرآني في وصف (النشأة) بـ (الأولى) نجد أنَّ النعتَ هنا أسلوبٌ حجاجيٌّ جاء لعلة حجاجية ألا وهي الدلالة على أنَّ هناك

١ . ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ٤٢٤.

٢ . سورة الواقعة آية: ٤٦.

٣ . ينظر: جامع البيان: ١٣٢/٢٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١١٣/٥، بحر العلوم :٣٩٥/٣، الهداية إلى بلوغ النهاية: ٧٢٨٠/١١.

٤ . سورة الواقعة: آية ٦٢.

نشأة أُخرى، وهي التي أشار إليها القرآن في قوله ـ تعالى ـ {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ}[١].

وأسلوب النعت هنا قد أعطى للمعنى طاقةً حجاجيَّةً، ورَدَّ على منكري البعث دعواهم، وبهذا يكون النعت قد أدى مع وظيفته النحوية وظيفة حجاجية.

ومن المواضع التي ورد فيها أيضًا أسلوب النعت في السورة الكريمة: ـ قوله ـ تعالى ـ {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}[٢] فقد وُصِف قوله (قُرْآن) بأربع صفات في الآيات السابقة: فقوله ـ تعالى ـ{كَرِيمٌ} صفة أولى، وقوله {فِي كِتَابٍ} صفة ثانية، وقوله {لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} صفة ثالثة، وقوله {تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}صفة رابعة لـ (قرآن)[٣] ، وقد وُصِف لفظ (قرآن) بهذه الأوصاف الكثيرة لعلة حجاجية تتمثل في الرد على ما وُجِّه إلى القرآن من اتهامات عديدة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم.

ومن ثَمَّ يمكننا القول إنَّ كلَّ كلمةٍ وُصِفت بوصف في السورة الكريمة إنَّما كان لعلة حجاجية تخدم السياق والقضية التي يُراد إقناع المتلقي بها، وقد أدى كلُّ نعتٍ ورد في السورة الكريمة الوظيفة المرجوة منه ببراعة واقتدار، بحيث لم يكن لغيره من الأساليب أنْ يحدث من التأثير ما أحدثه أسلوب النعت.

وبهذا يكون القرآن الكريم قد نجح في تغيير النظر لأسلوب النعت من مجرد أسلوب يفيد المدح أو الذم أو غير ذلك من الأغراض، ووجَّهه وجهة أخرى كان لها أكبر الأثر في إنجاح عملية المحاجّة، من خلال إنتاج المقتضيات التي

١ . سورة النجم آية: ٤٧.

٢ . سورة الواقعة: الآيات :٧٧، ٧٨،٧٩، ٨٠.

٣ . ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٤٤٧/٩.

توجِّه الحوار الوجهة التي تحددها استراتيجية الخصم ومعتقداته، بناء على تقييد المنعوت بالنعت [١].

وإذا ما تأملنا كل الآيات السابقة دون وجود النعت نجد أنَّ كلَّ القضايا التي حاول القرآن الكريم الإقناع بها يمكن أنْ تتعرض للنفي، كما أنَّه يُعَرِّض المقتضى اللازم من وراء النعت لأنْ يزول نهائيًا [٢].

١ . ينظر الحجاج في القرآن: ٣١٠ بتصرف.

٢ . ينظر السابق: ٣١٠ بتصرف.

المطلب السادس: الحِجاج باستخدام الاستفهام بالهمزة:

همزة الاستفهام هي أصل أدوات الاستفهام، ويستفهم بها عن التصور الذي هو طلب معرفة ماهية المسؤول عنه نحو: أقائم زيد أم عمرو؟ ويستفهم بها أيضًا عن التصديق الذي هو حكم على الماهية، وهي تصلح أنْ تدخل على مضمون الجملة ومفرداتها، وتدخل على الأفعال والأسماء والحروف وأدوات الشرط، ويسأل بها عن متعلقات الفعل، وتدخل على الإثبات والنفي، وليس هذا لغيرها من أدوات الاستفهام ؛ ولأصالتها استأثرت بأمور، منها تمام التصدير بتقديمها على (الفاء والواو وثم) عند جمهور النحاة، كما هو الحال في قوله ـ تعالى ـ {أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[١]، وقوله {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ}[٢]، وقوله {أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ}[٣]، وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنَّها من الجملة المعطوفة ،ولكنهم راعوا أصالة الهمزة في استحقاق التصدير، فقدموها بخلاف سائر أدوات الاستفهام [٤].

وقد ترد الهمزة لمعانٍ مجازية أُخر غير الاستفهام الحقيقي تُفهم من السياق ومقامات الكلام المختلفة، وللاستفهام بهذا الاعتبار قسمان كبيران: الأول: الاستفهام التقريري، ويكون الاستفهام تقريريًّا إذا كان المُستفهَمُ عنه مثبتًا في المعنى نحو قوله ـ تعالى ـ مخاطبًا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}[٥]، ومن ضوابط الاستفهام التقريري حلول (قد) محل أداة الاستفهام أي: قد شرحنا لك صدرك.

---

١ ـ سورة البقرة من الآية: ٤٤.

٢ ـ سورة الروم من الآية :٩.

٣ ـ سورة يونس من الآية: ٥١.

٤ ـ ينظر: رصف المباني:١٣٥، مغني اللبيب:١/٢١،٢٢، الجنى الداني: ٣٠،٣١، مصابيح المغاني: ٧١، همزة الاستفهام في القرآن الكريم:٨.

٥ ـ سورة الشرح آية: ١.

والثاني: الاستفهام الإنكاري: ويكون في صورتين: الأولى: أنْ يكونَ ما بعد أداة الاستفهام منفيًا لا وجودَ له في الواقع، كما هو الحال في قوله ـ تعالى ـ{أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}[1] أي: لم نجعل ذلك قطُّ.

والصورة الثانية: أنْ يكونَ ما بعد أداة الاستفهام مثبتًا له وجود في الخارج، لكنه كان ينبغي ألَّا يكونَ أصلًا، ومنه قوله ـ تعالى ـ{أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[2].

ويتولد عن هذين المعنيين (التقرير، الإنكار) معان أُخر تناسب السياق والمقام ومنها: التسوية، الإنكار، التوبيخ، التقرير، التحقيق، التعجيز، التقريع، النفي، التكذيب، التشويق، وغيرها، وهذه المعاني صالحة للرد إلى كلٍّ من التقرير والإنكار، وفي بعض المواضع يتبع التقريرُ الإنكارَ، والإنكارُ يتبع التقريرَ [3].

والاستفهام غير الحقيقي والذي يُسمى الاستفهام الحِجَاجيّ أو السؤال الحجاجيّ ليس استخبارًا أو طلبَ جوابٍ، بل هو وسيلة حِجَاج، وهذ الاستفهام الحِجاجيّ يُستخدم في القرآن الكريم عوضًا عن جملة خبرية مثبتة أو منفية [4].

والاستفهام بمعنى الخبر في القرآن الكريم يجيء على ضربين: أحدهما: نفي والمراد به إنكار المخاطب له، والثاني: إثبات والمراد به إقرار المخاطب به [5].

ويرى البعض أنَّ وظيفة الاستفهام الحجاجي هو أنْ نفرض على المخاطب إجابة محددة، يُمْلِيها المقتضى الناشئ عن ذلك الاستفهام، فيتم بذلك توجيه دفة

١ . سورة الزخرف من الآية :٤٥.

٢ . سورة الأعراف من الآية: ٢٨.

٣ . ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم: ٤،٥،٦بتصرف.

٤ . ينظر: الحجاج في القرآن: ٤٢٥.

٥ . ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢/ ٣٢٨.

الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد، ولما كانت أهم وظيفة ينهض لها الاستفهام الحجاجي هي توجيه باقي الحوار وجهة معينة، وكان مفهوم التوجيه هذا هو لب الحِجاج كان الاستفهام مظهرًا حجاجيًّا مهمًا، ولعل هذا يفسر كثرة ورود الحجاج في القرآن الكريم بالاستفهام بدلًا من التعبير عن الغرض المراد بأسلوب النفي أو الإثبات [١].

وقد جاءت معظم مواضع الاستفهام الحجاجيّ في سورة الواقعة بالهمزة، وقد كان لاستخدام الاستفهام بالهمزة علة حجاجية في كلِّ موضعٍ من المواضع التي وردت فيها.

ومن هذه المواضع قوله ـ تعالى ـ {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}[٢] وقوله ـ تعالى ـ{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}[٣] وقوله ـ تعالى ـ{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}[٤] وقوله ـ تعالى ـ{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} [٥] وقد بدأت هذه الآيات الكريمات بالفعل(أفرأيتم) المسبوقة بهمزة الاستفهام وبالفاء، وهو عند الكثير من النحاة والمفسرين بمعنى(أخبروني)[٦].

١ . ينظر: الحجاج في القرآن: ٤٢٥بتصرف.

٢ . سورة الواقعة: آية: ٥٨،٥٩.

٣ . سورة الواقعة آية: ٦٣،٦٤.

٤ . سورة الواقعة آية: ٦٨،٦٩.

٥ . سورة الواقعة: آية ٧١، ٧٢.

٦ ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج :٧٢/٥، زاد المسير:١٨٨/٤٤، الجامع لأحكام القرآن:٢١٧/١٧، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٣/ ٣٩٢، البحر المحيط :٨٨/١٠، الدر المصون: ٢١٤/١٠، اللباب في علوم الكتاب: ٤١٥/١٨.

ويرى الدكتور/ عبد العظيم المطعني أنَّ الأمر ليس كما ذهبوا، وإنَّما معناه هنا الرؤية البصريَّة؛ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يريد منهم استحضار الأمر المستفهَم عنه، وهو المني الذي يقذفونه في أرحام نسائهم، أو الزرع، أو الماء، أو النار، وتصور هذه الأشياء في الذهن تصورًا كاملًا حتى كأن صاحبها يراها ماثلةً أمامه، كما يكون الشخصُ ماثلًا أمامه ينظر إليه بكل وضوح ؛ ومن ثَمَّ يحكم عليها وهي حاضرة ماثلة في النفوس، وقد عُبِّر عن هذا التصور الذهني بالرؤية البصرية في قوة الظهور والمثول، وبعد هذا التصور بدأ القرآن الكريم في توجيه السؤال لهم عن الخالق للمني ،والمُنبِت للزرع، والمُنْزِل للماء من المزن ،والمُنشِئ لشجرة النار، وقد اشتملت كلُّ آية من الآيات الكريمات السابقة على استفهامين بالهمزة ـ قد تكاتفا معًا من أجل الوصول للغرض المراد ـ:

الاستفهام الأول: في قوله ـ تعالى ـ {أَفَرَأَيْتُم} والاستفهام هنا ليس على حقيقته، ولكنه جاء لغرض مجازي، وقد اخُتلِف في هذا الغرض فقيل: للإنكار التقريعي[١]، وقيل: هو للتقرير والتوبيخ [٢].

وأؤيد أنَّ المراد من الاستفهام هنا التقرير والتوبيخ بناءً على ما أشرتُ إليه من قبل من تعريف الاستفهام التقريري؛ لأنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا ينكر عليهم رؤيتهم لما يقذفونه في أرحام نسائهم، ولا ما يحرثونه، ولا الماء الذي يشربونه، ولا النار التي ينيرون بها منازلهم؛ ولكنه يريد منهم الاعتراف بهذا الأمر الثابت المُشاهَد؛ الذي لا يمكن لأحد مهما بلغ من العتو والكِبْر إنكاره؛ وممّا يؤيد هذا صحة تقدير(قد) في الآية؛ إذ يصح أنْ يُقال في غير القرآن الكريم: قد رأيتم ما تمنون وتحرثون وتشربون وتنيرون به.

١ . ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٢١٩/٩، أسلوب الاستفهام في القرآن:١٤٦.

٢ . ينظر: همزة الاستفهام في القرآن الكريم:١٢٥.

والاستفهام الثاني: هو الاستفهام في قوله ـ تعالى ـ {أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}، وقوله ـ تعالى ـ {أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}، وقوله ـ تعالى ـ {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}، وقوله ـ تعالى ـ{أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ}،ولبيان نوع هذا الاستفهام أقول: من النحاة من ربط هذا الاستفهام بـ (أم)؛لأنَّهم جعلوا (أم) في هذه الآيات متصلة، وعلى هذا القول فالاستفهام بالهمزة مع (أم) يُقصد بهما التعيين ،وكأنه قيل: أيُّنا خلقه أو أنبته أو أنزله أو أنشأها[١]؟ومن المفسرين مَنْ جعل (أم) متصلة مع القول بجواز كونها منقطعة [٢].

ومنهم مَنْ جعلها منقطعة فقط [٣].

وهنا أودُّ القول: إنَّني لستُ مع مَنْ جعل (أم) في الآيات السابقة متصلة؛ إذ لا يُطلب بالهمزة وبـ(أم) التعيين في هذه الآيات، خاصةً وقد ذكر ابن هشام أنَّ الاستفهام حينما يكون مع (أم) التي للتعيين يكون على حقيقته [٤].

ولا أدري بناء على هذا القول كيف يقول البعض إنَّ (أم) في الآيات متصلة؟! ولذا فالأولى القول بانقطاع (أم).

---

١ . ينظر: شرح ابن الناظم:٣٧٧، المغني: ١/ ٥٣، تمهيد القواعد: ٧/ ٣٤٦٢، التصريح: ١٧٠/٢، حاشية الصبان على شرح الأشموني:٣/ ١٤٩.

٢ . ينظر: البحر المحيط: ٨٨/١٠، اللباب في علوم الكتاب: ٤١٦/١٨، تفسير أبي السعود :١٩٧/٨، فتح القدير: ١٨٨/٥، روح المعاني: ٣٤١/١٤.

٣ . ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤/ ٢٢٢، تفسير القرآن العزيز:٣٤١/٤، بحر العلوم: ٣٩٦/٣، تفسير السمعاني: ٣٥٤/٥، مفاتيح الغيب: ٢١٦/٢٨، التحرير والتنوير:٢٧/ ٣٢١.

٤ . ينظر: المغني :١/ ٥١.

وعلى هذا فالاستفهام في قوله ـ تعالى ـ{أأنتم تخلقونه}، وقوله {أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ}، وقوله{أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ}، وقوله{أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا}للإنكار بمعنى النفي، والمعنى ـ والله أعلم ـ: ما أنتم تخلقونه وتجعلون منه بشرًا سويًا بل نحن الخالقون، والإنكار هنا يتبعه التقرير؛ لأنَّ قوله ـ تعالىٰ ـ{أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ} إلزام بالإقرار بأنَّ الخالق في الابتداء هو الله، ومَنْ كان قادرًا على الخلق أولًا كان قادرًا على الخلق ثانيًا [1].

وما قيل في هذه الآية الكريمة يُقال في باقي الآيات.

وأرى أنَّ ما قيل عن الاستفهام في قوله ـ تعالى ـ {أأنتم تخلقونه} إنَّه ليس للإنكار المجرد، ولكنه للتنبيه والاستدلال على الحق بالإشارة إلى الباطل [2] فيه نظرٌ؛ لأنَّ التنبيه والاستدلال إنَّما يتأتى من خلال كون الاستفهام للإنكار والتوبيخ؛ لأنَّ كون الاستفهام للتوبيخ والإنكار يثبت بطلان وصفهم بالخلق، وإثبات صفة الخلق لله؛ لأنَّه متى بطل النقيض كان الحكم بصحة نقيضه. ومعنى (أم) في قوله ـ تعالى ـ{أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}، وقوله {أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}، وقوله {أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}، وقوله {أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} الإضراب، والتقدير ـ والله أعلم ـ : بل نحن الخالقون، بل نحن الزارعون ،بل نحن المنزلون ،بل نحن المنشئون، وليست(أم) في هذا الموضع بمعنى الإضراب وهمزة الاستفهام معًا كما قدَّر البعض[3]؛ إذ ليس المعنى:(بل أنحن الخالقون).

وعلى هذا فما ذكره البعض[4] من أنَّ قوله ـ تعالى ـ (أَمْ نَحْنُ الخالقون) استفهام يفيد التقرير فيه نظرٌ؛ لأنَّ تقرير أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هو الخالق إنما جاء

١ . ينظر: مفاتيح الغيب: ٤١٥/٢٩.

٢ . ينظر: المعجزة الكبرى القرآن:١٦٧.

٣ . ينظر: البحر المحيط: ٨٨/١٠.

٤ . ينظر: روح المعاني: ١٤٧/١٤، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٧/ ٥٢٨، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: ١٤٦.

من الإنكار والتوبيخ الذي أفاده الاستفهام في قوله ـ تعالى ـ{أَأَنْتم تخلقونه}،والذي أفادته (أمْ) المنقطعة هو الإضراب فقط عن كونهم الخالقين .

وما قيل في هذه الآية الكريمة يُقال في قوله ـ تعالى ـ {أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}، وقوله {أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}، وقوله {أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ}.العلة الحجاجية لاستخدام أسلوب الاستفهام بالهمزة:

استخدم القرآن الكريم أسلوب الاستفهام الحجاجي بالهمزة لعلة حجاجية تمثلت في استدراج المخاطبين من أجل المصادقة على القضية الأساسية المراد إقناعهم بها، وإذا ما تأملنا الاستفهام الأول والثاني في هذه الآيات نجده عن أمرٍ من معتقدات المستفهَمين ومن عوالم إيمانهم ، وإنما سُئِلوا عنها ليوجبوها وليصادقوا عليها من تلقاء أنفسهم، حتى إذا حصلت المصادقة من قِبل المخاطبين ـ وهي لا بُدَّ حاصلة ـ كان ذلك وسيلة للترقي درجة أخرى في سُلم الإقناع بجوهر ما يريد القرآن أنْ يقنع به مخاطبيه؛ لذا فالجواب عن الاستفهام الأول والثاني في هذه الآيات لا يمكن إلا أنْ يكون في الاتجاه الذي رسمه المتكلم ؛ إذ ينتظر أنْ يجيب المسؤولون عن الاستفهام الأول بجواب من نحو: نعم قد رأينا المني والزرع والماء والنار رؤية بصرية، وعن الاستفهام الثاني بقولهم : لا لم نخلق المني ،ولم ننبت الزرع ،ولم ننزل الماء ،ولم ننشئ شجرة النار ؛لأنَّ المشركين لم يقولوا إنَّنا مَنْ فعل هذه الأشياء ،وهم مقرون بأنَّ الله هو الخالق، وعلى هذا يكون هذان الاستفهامان نقطة الارتكاز والمنطلق للدخول في منطق الخطاب القرآني وانخراطهم فيه تمهيدًا واستدراجًا للمخاطبين للإذعان والمصادقة على القضية الأساسية في الآيات، ومصادقة خصوم القرآن على القضايا المعروضة في الاستفهامات الواردة في الآيات ليست لمجرد المصادقة ،وإنَّما لأنَّها تمثل السند الحجاجيّ للقضية المراد إثباتها من الآيات وهي البعث بعد الموت، وما يتبعها من أحداث القيامة (وهي القضية التي تمثل مناط إنكار المشركين وجحودهم)، وقد ارتقي القرآن في استدراجهم لإثبات أنَّ مَنْ يخلق أولًا

قادرٌ على الإعادة ، وذِكْر الآيات لموضوع البعث في قوله ـ تعالى (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ)[١]مع أنهم لا يعترفون به بعد هذه الاستفهامات ضربٌ من الإدماج في الحجاج ؛ إذ أحرى بمن يقرُّ بقلبه وعقله ولسانه أنَّ الله هو الخالق، وهو منبت الزرع ، ومُنْزل الماء من المزن ،ومنشئ النار من شجرتها أنْ يقرَّ بقدرة الله على البعث بعد الموت، وهذا المسار الحجاجي الضمني قد بُنِي انطلاقًا من الاستفهام الحجاجي، ولم يكن لأسلوب النفي أو الإثبات أنْ يؤدي نفس التأثير والإقناع [٢].

وبهذا تكون هذه الآيات الكريمات قد وظَّفت أسلوب الاستفهام بالهمزة مع (أم) المنقطعة توظيفًا حجاجيًّا؛ لتحقيق الغرض المراد من الآيات بأقصر الطرق، وقد تدرجت الآية بهؤلاء المنكرين للبعث؛ لأنَّهم في كلِّ استفهامٍ لابد لهم من الرجوع إلى أنفسهم والإجابة عليه؛ ومن ثمَّ نجدهم في نهاية الأمر يصلون بأنفسهم إلى كذب دعواهم في إنكار البعث، ولا يجدون أمامهم مفرًّا من الاعتراف بحصوله ــ حتى وإنْ لم يعلنوها صراحة ــ لكنهم موقنون به في أنفسهم. ومن المواضع التي وردت فيها أيضًا الاستفهام بالهمزة قوله ـ تعالى ـ{أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ}[٣]

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الاستفهام في الآية السابقة لعلة حجاجية من أجل إثبات أنَّ حال هؤلاء المستمر هو التكذيب والإنكار؛ فمع علم هؤلاء أنَّ الله هو الخالق لهم ابتداءً لا يزالون ينكرون البعث ، وبعد كل هذه النعوت المتقدمة التي وُصِف بها القرآن الكريم، لا يزال هؤلاء يكذبون به، أو يكفرون،

١ . سورة الواقعة آية: ٦٢.

٢ . ينظر: الحجاج في القرآن: ٤٣٠ ـ ٤٣٢بتصرف.

٣ . سورة الواقعة: آية :٨١.

أو يتهاونون به ـ على ما قيل في معنى قوله{مدهنون}[١] ـ ، وبدلًا من شكر الله على النعم التي أنعم بها عليهم يكذبون بها وينسبونها إلى غير الله ، ولذا نجد القرآن الكريم يوجه لهؤلاء استفهامًا إنكاريًّا توبيخيًّا مخاطبًا إياهم بما مضمونه: أفبالقرآن الكريم وبكل ما تقدم في السورة من أدلة قطعية على صدق البعث، وما يليه من أحداث تنكرون وتكذبون، ولعل هؤلاء يرجعون إلى أنفسهم محاولين الإجابة على هذا الاستفهام الإنكاري التوبيخي، وبيان السبب لهذا التكذيب والكفر الدائم منهم بالقرآن الكريم وبكل ما جاء فيه، على الرغم من ظهور الأدلة القطعية على صدق ما جاء به القرآن الكريم .

لذا نجد الاستفهام هنا قد وُظِّف توظيفًا حجاجيًّا لبيان أنَّ كذب هؤلاء وكفرهم إنَّما هو جحود واستكبار وعناد ليس إلا.

١ . ينظر: جامع البيان: ٣٦٨/٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١١٦/٥، بحر العلوم: ٣/ ٣٩٨، الكشاف: ٤/ ٤٦٩، التحرير: ٣٣٨/٢٧

الخاتمة

****

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

فقد توصلتُ من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

- وُجِدتْ جذورُ نظرية الحجاج في التراث البلاغي والشرعي وعلم الكلام، وكانت بمثابة الأساس الذي انطلقت منه هذه النظرية في العصر الحديث؛ وهذا يؤكد أنَّ هذه النظرية في نشأتها عربية خالصة.
- تنوعتْ أدواتُ الشرطِ الحجاجية في سورة الواقعة، وكلٌّ منها قد ناسبت المقام الذي ذُكِرت فيه وحال المخاطبين.
- استخدم القرآنُ الكريم ـ المعجز بألفاظه ومعانيه ـ النحو الوظيفي التداولي الذي يُراعي حال المتكلم والمخاطب والسياق.
- يُعدُّ افتتاحُ سورة الواقعة بالظرف المضمن معنى الشرط (إذا) افتتاحًا بديعًا؛ إذ فيه مراعاة لحال المخاطب كيفما كان هذا المخاطب.
- وُظِّفَ أسلوبُ التوكيد في سورة الواقعة توظيفًا حجاجيًّا؛ فقد قدَّم للمتلقي مضمون الآيات وفرض عليه حقيقتها، باعتبارها سمات ومقتضيات غير قابلة للنقاش والمجادلة، بالرغم أنَّها في صميم النقاش والمجادلة الدائرتين بين القرآن وخصومه، وهذه الوظيفة الحجاجية قد وجَّهت الحوار توجيهًا لا يملك المخاطب له ردًّا، ومثل هذه الوظيفة الحجاجية لم يكن أن ينهض لها الأسلوب العاري عن التوكيد.
- لأسلوب التكرار أثره البالغ في تمكين المعنى في ذهن السامع من خلال تأثيره فيه وإقناعه بمضمونه؛ لأنَّ اللفظة قبل التكرار تظهر كأنَّها لفظة عادية تمرُّ على الذهن شأنها شأن غيرها، ولكن التكرار يجعل الذهن يقف عند هذه اللفظة مستعدًا لاستقبال ما سيقال بشأنها، وكأنه يعيشه معها بكل جوارحه.

ـ بناء الفعل للمجهول كان له أبلغ الأثر في انتقال الاهتمام والتركيز من الفاعل إلى الحدث نفسه.

ـ لجأ القرآن الكريم لاستعمال أسلوب الحذف لكونه الأبلغ في أداء المعنى من الذكر، وكان الغرضُ

منه إثارةَ الانتباه وإعمالَ الذهنِ لتذهب كلُّ نفسٍ مذهبَها في تفسيرِ المحذوفِ.

ـ تعاونت أداتا الشرط (أمَّا وإنْ) في إبراز المعنى وتمكينه في نفس المتلقي، وقد أعطى استعمال (أمَّا) مع (إنْ) الكلام فضلَ توكيدٍ فيه مراعاة لحال المخاطبين المنكرين للبعث.

ـ السورةُ كلُّها مترابطةٌ كوحدة واحدة من بدايتها إلى نهايتها، وكلُّ آيةٍ فيها لها علاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها.

ـ ليس بالضرورة أنْ تستعمل (إنْ)للمشكوك في وقوعه؛ إذ قد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع واُستُعملت فيها للمُحقَّق وقوعه، كما هو الحال في قوله ـ تعالى ـ {إنْ ينصركم اللهُ فلا غالبَ لَكُم}، وقوله {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}.

ـ تنوعت الأساليبُ الحجاجيةُ النحويَّةُ في سورة الواقعة تبعا لحالِ المخاطبين وللسياقِ، فنجدُ أنَّ أسلوبَ التوكيدِ قد جاء في المواضع التي كان فيها إنكار واستبعاد، بينما جاء أسلوبُ الشرط في المواضع التي تحتاجُ إلى إعمال الذهن وإقامةِ الحُجةِ على الخصمِ.

ـ أسلوبُ الاستفهامِ كان من أوجز الأساليب النحوية الحجاجية، ومع ذلك فقد كان من أشدها إقناعًا وتأثيرًا؛ إذ هو يُقيم الحُجةَ على الخَصمِ ويؤدي به إلى الإقناع والإقرار بمجرد طرح الاستفهام عليه.

ـ لأسلوبِ النفي طاقةٌ حجاجيةٌ وتأثيريةٌ؛ إذ هو أكثرُ إقناعًا من الحجج المثبتة، وهو يختصرُ السبلَ والطرقَ من أجل الوصولِ إلى الغرضِ المراد، وأيضًا يحولُ التأثيرَ النظري إلى تأثيرٍ فعلي وإنجازي في الواقع.

ـ حرفُ العطفِ الواو كان من أهم الروابط الحجاجية في السورة.

ـ لقد كان للنعت دورٌ كبيرٌ في تصويرِ وتجسيدِ نعيمِ الجنة وعذابِ النار على أكملِ وجهٍ، حتى أنَّ المستمعَ للسورة يكاد يرى النعيمَ أو العذابَ من دقة الوصف.

ـ الأوصافُ البديعةُ الدقيقة لنعيمِ الجنةِ، أو لعذابِ النارِ، كانت من أهم الأساليب الحجاجية النحوية التي قد دلت بالفعل على أنَّهما حقيقةٌ واقعةٌ لا شكَّ في ذلك.

ـ بالرغم من أنَّ أسلوبَ التكرارِ يوحي في النفس أنَّه جاء ليؤكد المعنى، إلا أنَّ بعضَ أساليبِ التكرارِ لم تُفدْ التوكيدَ بشكل ظاهر، وإنَّما جاء التوكيدُ فيها ممَّا وراء اللفظ، كما هو الحال في قوله تعالى (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ).

ـ اقتران أسلوب التوكيد بالنعت في بعض الآيات، كان له أكبرُ الأثرِ في تغيير النظرِ للنعت من أنَّه مجردُ أسلوبٍ يأتي لإفادةِ المدح أو الذم أو غير ذلك من الأغراض، ووظَّفه وظيفةً حجاجيةً جعلت له أكبرَ الأثرِ في إنجاحِ عمليةِ الحجاجِ من خلال إنتاجِ المقتضيات التي توجه الحوارَ الوُجْهةَ التي تحددها استراتيجيةُ الخصم.

ـ إذا كانت الحُججُ اللغوية تتميزُ بأنَّها نسبيةٌ أو قابلةٌ للإبطال في الخطابات الأخرى، فإنَّ الحججَ التي وظفها القرآنُ الكريمُ تخلو من هذا تمامًا؛ ممَّا يؤكدُ إعجازه المتمثل في أسلوبه.

ـ أهم التوصيات:

أساليب الحِجاج النحوية في القرآن الكريم بحاجة من الباحثين إلى مزيد من الدراسة؛ من أجل تطبيقها على سور القرآن الكريم كافة؛ فممَّا لا شكَّ فيه أنَّ كلَّ أسلوبٍ نحوي إنَّما جاء في القرآن الكريم لوظيفة أو علة حجاجية.

وختامًا أقول: هذا هو جهد المُقل، وموضوع بحثي هذا لم أجد من تناوله قبلي، ومن ثَمَّ فلم يكن هناك دربٌ أسير على هديه، وأرجع إليه عند التعثر، ولكني حاولتُ واجتهدتُ ـ بقدر ما تهيأ لي ـ، فإنْ كنت وُفِّقتُ فمن الله . تبارك وتعالى .، وإن كنت أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان، فأنا بشر، والخطأ من طبيعة البشر، وآمل أنْ أكون قد فتحت بابًا لغيري لدراسة أساليب الحجاج النحوية في القرآن الكريم بشكل أفضل، واللهَ أسأل أن يجزيني عن عملي هذا بقدر إصابتي وخطئي.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

ثبت المصادر والمراجع

****

ـ أبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القَطَّاع الصقلي تحقيق ودراسة: أ. د/ أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة، د.ط، طبعة سنة: ١٩٩٩.

ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي بتحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، طبعة سنة: ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ م.

ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي بتحقيق د / رجب عثمان محمد، ومراجعة د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، د.ط، د.ت.

ـ الأزهية في علم الحروف لمحمد بن علي الهروي بتحقيق/ عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة: الثانية: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للدكتور صبَّاح عبيد، مطبعة الأمانة ـ مصر، الطبعة: الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.

ـ أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم لعبد الكريم محمود يوسف، مكتبة لسان العرب، الطبعة: الأولى :١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج بتحقيق /عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة لبنان ـ بيروت، (د.ط)، (د. ت).

ـ أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتنظير لمحمد يطاوي، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الحادي والعشرون (شعبان ١٤٣٩ هـ ـ مايو ٢٠١٨م).
ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان، د.ط، طبعة سنة:١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ مـ.
ـ إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس بتحقيق/عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى :١٤٢١ م.
ـ إعراب القرآن للأصبهاني بتحقيق د/ فائزة بنت عمر المؤيد، مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض الطبعة: الأولى: ١٤١٥ هـ ـ١٩٩٥ م.
ـ إعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري، بتحقيق د: موسى على موسى، الطبعة: الأولى:١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.
ـ أمالي ابن الشجري لهبة الله بن علي بن محمد العلوِيّ بتحقيق د/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩١.
ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي بتحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ.
ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري بتحقيق يوسف الشيخ محمد، طبعة دار الفكر، د.ط، د.ت.
ـ الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني الشافعي بتحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، د.ت.
ـ بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، (د. ط)،(د. ت) .
ـ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، طبعة سنة: ١٤٢٠ هـ، د.ط.

ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي بتحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ ـ١٩٥٧ م.
ـ البرهان في وجوه البيان لأبي الحسين إسحاق بن وهب الكاتب، المحقق: د/ حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة ـ القاهرة، د.ط، عام النشر: ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩ م.
ـ بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن محمد المعروف بالخطابي بتحقيق/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة: ١٩٧٦م.
ـ البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، سنة النشر: ١٤٢٣ هـ.
ـ تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي بتحقيق د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م.
ـ تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري بتحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، د.ط، د.ت.
ـ تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د. ت.
ـ التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري بتحقيق / علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت، د.ط.
ـ التحاجج (طبيعته، مجالاته، وظائفه وضوابطه) لحمو النقاري، الناشر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦.
ـ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر ـ تونس، د.ط، طبعة سنة: ١٩٨٤ هـ.

ـ تُحْفَة الأَقْرَانِ في مَا قُرِئ بِالتَّثْلِيث من حروف القرآن لأبي جعفر الأندلسي أحمد بن يوسف الغرناطي، كنوز أشبيليا ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٨٢ هـ ـ ٢٠٠٧ م.

ـ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل بتحقيق/ حسن هنداوي، دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

ـ التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي بتحقيق د/ عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٦ هـ.

ـ التصريح بمضمون التوضيح في النحو للشيخ خالد الأزهري، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة: الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، بتحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.

ـ التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي، المحقق: د. عوض بن حمد، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م.

ـ التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، عمادة البحث العلمي ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى: ١٤٣٠ هـ.

ـ التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم لعبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١.

ـ تفسير الجلالين لجلال الدين محمد المحلي وجلال الدين السيوطي، طبعة: دار الحديث ـ لقاهرة، الطبعة: الأولى، د.ت.

ـ تفسير الراغب الأصفهاني بتحقيق د/ محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب ـ جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

ـ تفسير القرآن للسمعاني بتحقيق/ ياسر بن إبراهيم، / غنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، الطبعة: الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي بتحقيق/أبو عبد الله حسين بن عكاشة، / محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة مصر ـ القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.
ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير بتحقيق /سامي بن محمد السلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية: ١٤٢٠: هـ ـ ١٩٩٩ م.
ـ التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي ـ القاهرة، د.ط، د.ت.
ـ تفسير مجاهد لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي بتحقيق د/ محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ مصر الطبعة: الأولى:١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م.
ـ تفسير مقاتل بن سليمان بتحقيق/ عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ـ بيروت، الطبعة: الأولى:١٤٢٣ هـ.
ـ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش بتحقيق مجموعة من الأساتذة، دار السلام ـ القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م.
ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس جمعه/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية ـ لبنان، د.ط، د.ت.
ـ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ٢٠٠١م.
ـ توجيه اللمع لابن الخباز بتحقيق: أ. د/فايز زكي، دار السلام للطباعة والنشر ـ جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ ـ٢٠٠٧ م.
ـ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين المرادي بتحقيق /عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة: الأولى: ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

ـ التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد النسفي الحنفي، المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول ـ تركيا، الطبعة: الأولى: ١٤٤٠ هـ ـ ٢٠١٩.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري بتحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى:١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

ـ الجامع لأحكام القرآن المسمى بتفسير القرطبي بتحقيق/ أحمد البردوني، / إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة: الثانية: ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

ـ الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان ـ بيروت، الطبعة: الرابعة: ١٤١٨ هـ.

ـ الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين المرادي بتحقيق د/ فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢ م.

ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي بتوثيق وضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، د.ط، د.ت.

ـ حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني لمحمد بن عرفة الدسوقي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة: الأولى: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧.

ـ حجاجية أدوات الشرط في نماذج شعرية مختارة من " ديوان الإمام علي" لسارة سوايحية، حوليات جامعة قالمة(الجزائر) للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد ١٨، العدد(١) يونيو ٢٠٢٤.

ـ الحِجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية للدكتور عبد الله صولة، دار الفارابي بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م.

ـ الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) للدكتور حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة إربد ـ الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

ـ الحجاج والاستدلال الحجاجي، دراسات في البلاغة الجديدة لمجموعة من الباحثين بالمملكة المغربية بإشراف/ حافظ علوي إسماعيلي، دار ورد الأردنية، الطبعة الأولى: ٢٠١١م.

ـ الحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي بتحقيق/ بدر الدين قهوجي، / بشير جويجابي، دار المأمون للتراث دمشق ـ بيروت، الطبعة: الثانية :١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣.

ـ حروف المعاني والصفات للزجاجي بتحقيق/علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى:١٩٨٤م.

ـ الخصائص لابن جني الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة، د.ت.

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي بتحقيق د/أحمد محمد الخراط، دار القلم ـ دمشق، (د.ط)، (د.ت).

ـ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني علق عليه/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ـ دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

ـ دلالة التقديم والتأخير في الجملة الاسمية د/ صدام هايل، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، المجلد السادس، العدد(١٤)، يناير ٢٠٢٠.

ـ دلالة السياق للدكتور ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، مطابع جامعة أم القرى، ط: أولى: ١٤٢٤هـ.
ـ ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي بتحقيق د/أحمد مختار عمر، مراجعة: د/ إبراهيم أنيس، دار الشعب ـ القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ ـ٢٠٠٣ م، د.ط.
ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي بتحقيق أ. د / أحمد الخراط، دار القلم دمشق، د.ط، د.ت.
ـ روح البيان لإسماعيل حقي، دار الفكر ـ بيروت، د.ط، د.ت.
ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي بتحقيق/علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة: الأولى:١٤١٥ هـ.
ـ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، بتحقيق/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢ هـ.
ـ السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف ـ مصر، الطبعة: الثانية: ١٤٠٠هـ.
ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بتحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث ـ القاهرة، الطبعة: العشرون: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
ـ شرح الأبيات المشكلة الإعراب لأبي على الفارسي بتحقيق وشرح د/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي القاهرة ـ مصر، الطبعة: الأولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م.
ـ شرح ألفية ابن معطٍ لابن القواس بتحقيق د/ علي موسى، مكتبة الخريجي ـ الرياض، الطبعة: الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥.

ـ شرح تسهيل الفوائد لابن مالك، المحقق د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون، طبعة: هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى :١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
ـ شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، قدَّم له ووضع فهارسه/ فوَّاز الشعَّار، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.
ـ شرح كافية ابن الحاجب للرضي بتحقيق د/ إميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨.
ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك حققه وقدم له أ.د/ عبد المنعم هريدي، جامعة أم القرى ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى: ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
ـ شرح المقدمة المحسبة لطاهر بن أحمد بن بابشاذ بتحقيق/ خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية ـ الكويت، الطبعة: الأولى: ١٩٧٧ م.
ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة: الرابعة: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
ـ الصناعتين لأبي هلال العسكري، المحقق/علي محمد البجاوي و/محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت، د.ط، عام النشر: ١٤١٩هـ.
ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي بتحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣ م.
ـ علم المعاني لعبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى:١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م.

ـ العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا) للدكتورة/ ألطاف إسماعيل، مجلة كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد، العدد (٤٣) السادس عشر من ذي الحجة ١٤٣٦هـ ـ الخامس من سبتمبر ٢٠١٥م.

ـ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د /مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، دار الهلال، د.ط، د.ت.

ـ غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري بتحقيق/ أحمد صقر، دار الكتب العلمية، د.ط، طبعة سنة: ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

ـ الغُنْيَةُ عن الكلام وأهله للحافظ الفقيه أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، طبعة: دار المنهاج، د.ط، د.ت.

ـ فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان البخاري، قدّم له وراجعه/ عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة صَيدَا ـ بَيروت، د.ط، طبعة سنة: ١٤١٢ هـ –١٩٩٢ م.

ـ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا الأنصاري بتحقيق /محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى:١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م.

ـ فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤١٤ هـ.

ـ الفروق اللغوية للعسكري بتحقيق/ محمد إبراهيم سليم، طبعة دار العلم والثقافة القاهرة ـ مصر، د.ط، د.ت.

ـ في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات للدكتور عبد الله صولة، دار الجنوب، الطبعة الأولى:٢٠١١م.

ـ الكتاب لسيبويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة: الثالثة:١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

ـ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني بتحقيق/ محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن على الفاروقي تقديم ومراجعة د/ رفيق العجم، تحقيق د/على دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة: الأولى: سنة ١٩٩٦م.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة :١٤٠٧ هـ.

ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، مراجعة وتدقيق: أ/ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى :١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي، المحقق: عدنان درويش ـ محمد المصري، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، د.ط، د.ت.

ـ اللامات لأبي القاسم الزجاجي بتحقيق /مازن المبارك، دار الفكر ـ دمشق الطبعة: الثانية:١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، تصحيح/محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٥ هـ.

ـ اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري بتحقيق د/ عبد الإله نبهان، دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

ـ اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي بتحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ /علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة: الأولى:١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر ـ بيروت، الطبعة: الثالثة :١٤١٤هـ.

ـ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي للدكتور طه عبد الرحمن، المركز الثقافي الغربي، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.
ـ لطائف الإشارات للقشيري بتحقيق/إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، الطبعة: الثالثة، د.ت.
ـ اللغة والحجاج للدكتور عبد الله العزاوي، الناشر: العمدة في الطبع، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.
ـ اللمحة في شرح الملحة لمحمد بن حسن شمس الدين المعروف بابن الصائغ بتحقيق / إبراهيم بن سالم الصاعدي، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
ـ اللمع في العربية لابن جني بتحقيق د. فائز فارس، دار الكتب الثقافية ـ الكويت، (د.ط)، (د. ت).
ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير بتحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر. القاهرة، د.ط، د.ت.
ـ مجمع الأمثال للميداني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، د.ت، د.ط.
ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي بتحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢: هـ.
ـ المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن سِيده، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى:١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.
ـ المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي بتحقيق د/ حسن هنداوي، دار القلم ـ دمشق، دار المنارة ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.
ـ المسائل المنثورة للفارسي بتحقيق د/ شريف النجار، دار عمار . عمان، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
ـ المساعد على تسهيل الفوائد لبهاء الدين بن عقيل، المحقق: د./محمد كامل بركات، جامعة أم القرى (دار الفكر ـ دمشق ـ دار المدني ـ جدة)، الطبعة: الأولى:١٤٠٠ ـ ١٤٠٥هـ.
ـ مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لأبي حاتم، الدارمي البُستي محمد بن حبان بن أحمد، المحقق: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء ـ المنصورة، الطبعة: الأولى: ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.
ـ مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المالكي بتحقيق د/حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ــ بيروت، الطبعة: الثانية: ١٤٠٥هـ.
ـ مصابيح المغاني في حروف المعاني لمحمد بن علي الموزعي المعروف بابن نور الدين، بتحقيق د/ عائض العمري، دار المنان، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي الحموي، المكتبة العلمية ـ بيروت، د.ط، د.ت.
ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي بتحقيق /عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٠هـ.

ـ معاني الحروف لأبي الحسن الرماني بتحقيق الشيخ/عرفان بن سليم، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

معاني القراءات للأزهري لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، مركز البحوث بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.

ـ معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش بتحقيق د/هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م.

ـ معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج بتحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

ـ المعجزة الكبرى للقرآن لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

ـ معجم مقاييس اللغة لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م، د.ط.

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري بتحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت، د.ط، طبعة سنة:١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة: ١٤٢٠ هـ.

ـ مفتاح العلوم للسكاكي ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثانية:١٤٠٧ هـ ـ١٩٨٧ م.

ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني بتحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٢ هـ.

ـ المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية لأبي إسحاق الشاطبي بتحقيق/ د. عبد المجيد قطامش، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى:١٤٢٨ هـ ـ٢٠٠٧ م.

ـ المقتضب لأبي العباس المبرد بتحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ـ بيروت، (د.ت)، (د.ط).

ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجنيّ، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخواجة، الدار العربية للكتاب ـ تونس، الطبعة: الثالثة: ٢٠٠٨م.

ـ المنهاج في ترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي بتحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة: ٢٠٠١م.

ـ موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للشيخ خالد الأزهري، بتحقيق/ عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولى:١٤١٥هـ ١٩٩٦م.

ـ نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت

، الطبعة: الأولى: ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ م.

ـ نظرية الحجاج الجذور والاستواء للدكتور/ طالب عويد، مجلة آداب المستنصرية، العدد الثالث والستون للعام ٢٠١٣م.

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة، د.ط، د.ت.

ـ النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه لعلي بن فَضَّال المُجَاشِعِي بتحقيق د/ عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م.

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري أحمد بن عبد الوهاب، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٤٢٣هـ.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير بتحقيق/ طاهر أحمد، / محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، د.ط، طبعة سنة: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

ـ همزة الاستفهام في القرآن الكريم لعبد الرؤوف سعيد عبد الغني، المكتبة الوطنية عمان ـ الأردن، طبعة سنة: ١٩٩٢م، د.ط.

ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي بتحقيق / عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ـ مصر، د.ط، د.ت.

ـ وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر ـ حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

فهرس الموضوعات
****

الموضوع	رقم الصفحة
* الملخص	٢٩٦٧
* المقدمة	٢٩٦٩
* المبحث الأول:	٢٩٧٣
أولًا: تعريف الحِجاج.	٢٩٧٣
ثانيًا: نشأة نظرية الحِجاج عند العرب قديمًا.	٢٩٧٨
* المبحث الثاني: أساليب الحِجاج النحوية في سورة الواقعة:	٢٩٨٨
*المطلب الأول: الحجاج باستخدام أسلوب الشرط.	٢٩٨٨
*المطلب الثاني: الحِجاج باستخدام أسلوب الحذف.	٣٠٠٦
*المطلب الثالث: الحِجاج باستخدام أسلوب التوكيد.	٣٠٢٣
*المطلب الرابع: الحجاج باستخدام أسلوب النفي.	٣٠٥٧
*المطلب الخامس: الحِجاج باستخدام أسلوب النعت.	٣٠٦٨
*المطلب السادس: الحجاج باستخدام الاستفهام بالهمزة.	٣٠٧٤
*الخاتمة	٣٠٨٣
*ثبت المصادر والمراجع.	٣٠٨٧
* فهرس الموضوعات	٣١٠٣